رابعًا : الدعوة والثقافة الإسلامية

ويشتمل على التالي:

١ - التفكك الأسري وأثره على وحدة الوطن.

٢ - حرية الرأي في الإسلام.

٣ - المستشرق أرثر جفري ومقدمة كتاب المصاحف

٤ - المسالك الاحتجاجية في الرد على النصارى من خلال رسالة الحسن بن أيوب.

٥ - الولايات السياسية للشيعة.

التفكك الأسري وأثره
على وحدة الوطن واستقراره

دراسة تحليلية في ضوء الإسلام

الدكتور
محمد رمضان أبو بكر محمود
الأستاذ المساعد بقسم الثقافة الإسلامية – كلية الدعوة الإسلامية – جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله العلي الأعلى الذي خلق فسوى، والذي قدر فهدى، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان علي سيد الورى ورسول الهدى محمد – صلى الله عليه وعلى آله وصحبه شموس الضحى ونجوم العلا، وسلم تسليماً مزيداً.

أما بعد

فإن من أعظم نعم الله ﷻ على أي دولة اجتماع شمل أهلها وتوحد قلوب أفرادها على حب بلادهم وإرادة الخير لها، ولذا امتن الله ﷻ على نبيه محمد ﷺ بهذه النعمة العظيمة في المدينة حين اجتمعت قلوب المهاجرين والأنصار وصارت لُحمة واحدة بفضل الله – جل في علاه– وبفضل هذا الدين الذي صهرهم جميعاً في بوتقة واحدة فصار هذا الاتحاد والاجتماع من أسباب تأييد الله ﷻ ونصره لنبيه ﷺ.

قال –تعالى- { وَإِن يُرِيدُواْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللّهُ هُوَ الَّذِيَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ [الأنفال:٦٢- ٦٣]

ولكون نعمة اجتماع الكلمة والتئام شمل المجتمع، ووحدة أبنائه من النعم التي لا تستقر الحياة بدونها ذكّر الله ﷻ صحابة نبيه ﷺ بها حينما كانوا قبل الإسلام متفرقين لا يجتمعون على هدف، ولا ينضوون تحت راية، فجاء الإسلام فألف بينهم. قال – عز من قائل – { وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ [آل عمران: ١٠٣]

وقد حرص الإسلام على استدامة هذه النعمة بين المسلمين فأمرهم بكل ما يحافظ عليها من الحب في الله، والسمع والطاعة للأمراء العدول، والنصيحة لولاة الأمر وعامة

المسلمين، والأمر بكل معروف وخير...إلخ، ونماهم عن كل ما يقوض بنيان هذه الوحدة، ويهدد وجودها من البغضاء والشحناء والكره والحقد، والتنافس المذموم والتقاتل على متاع الدنيا، وشق عصا الطاعة، وغش الناس، وإشاعة المنكرات والفواحش في المجتمع...إلخ.

ومن الظواهر الحديثة التي باتت تهدد وحدة الوطن واجتماع شمل أبنائه وأمنه واستقراره ظاهرة التفكك الأسري، وانهيار هذه المؤسسة التي ينيط بها الإسلام أن تجمع أفرادها على حب الوطن، وتربيهم على الإخاء والاجتماع والوحدة، فبدل أن تقوم الأسرة بذلك صارت بتفككها وكثرة مشكلاتها شوكة تنخر في جسم الوطن، ومعول هدم لاستقراره بما تخرج هذه الأسرة المفككة من رجال ونساء محطمين، وأولاد ضائعين لا يعرفون قيمة لدين أو وطن.

ولكي تتضح الآثار السيئة للتفكك الأسري على وحدة الوطن واستقراره اخترت هذا البحث الذي عنونت له بـــ:

" التفكك الأسري وأثره على وحدة الوطن واستقراره – دراسة تحليلية في ضوء الإسلام"

أسباب اختيار الموضوع وأهميته:

١- كثرة القلاقل والاضطرابات التي تتعرض لها كثير من الأسر الإسلامية والعربية، حتى تحول التفكك الأسري إلى ظاهرة ملموسة للصغير والكبير، وباتت تستحق مزيداً من الدراسات حولها من جميع الجوانب.

٢- تركيز أعداء الإسلام من خلال خطابهم الإعلامي الموجه للأمة الإسلامية على زعزعة استقرار الأسرة المسلمة، وإشاعة التمرد بين أعضائها لتسقط هذه المؤسسة الحامية لما تبقى من عرى الإسلام، وتسقط معها البلاد الإسلامية ثم الأمة كلها، مما يوجب على الباحثين أن يكشفوا مخططات الأعداء لتفكيك الأسرة المسلمة، ويتصدوا لهذه الحرب الشعواء مبينين آثارها الخطيرة على الإسلام والمسلمين.

٣- المتغيرات الفكرية والثقافية التي عمت كثيراً من الأفراد والمجتمعات الإسلامية فزلزلت عندهم الهوية والانتماء للإسلام والأمة والوطن، وصارت أفكار البعض منهم تولي وجهها شرقاً أو غرباً ناحية أفكار التطرف والتشدد أو الانفلات والإباحية بل صار البعض يعادي دينه ووطنه وأمته. ولا شك أن نشأة هذا البعض من صغرهم لم تكن نشأة سوية، وهذا يدفع إلى البحث عن دور الأسرة في نمو هذه الأفكار الغريبة في البلاد الإسلامية.

٤- توضيح العلاقة بين التفكك الأسري ووحدة الوطن واستقراره من خلال المعادلة الواقعية الصحيحة: أن التفكك الأسري يؤدي إلى تفكك المجتمع، وأن تفكك المجتمع يؤدي إلى انهيار الوطن وتمزقه. فمن يشكو من تشرذم الوطن وتمزقه، والصراع بين أبنائه عليه أن يرجع أولاً إلى الأسرة ؛ لأنها المحضن الرئيس الذي تربي فيه قيم الدين والوطن لدى الأفراد.

٥- تحذير القائمين على أمور المسلمين من خطورة هذه الظاهرة (التفكك الأسري) على الأمة الإسلامية عامة، وعلى البلاد الإسلامية خاصة، حيث إنها تضعف

علاقة المسلم بوطنه، ثم تمتد لتضعف علاقته بأمته ودينه.

هدف البحث وتساؤلاته

يهدف البحث إلى الإجابة على سؤال كبير مفاده: **ما أثر التفكك الأسري على وحدة الوطن واستقراره؟**، ولكي نصل إلى الإجابة على هذا السؤال لا بد من الإجابة على الأسئلة الفرعية الآتية:

١- ما مهمة الأسرة في المحافظة على التماسك الوطني في التصور الإسلامي؟

٢- ما مفهوم التفكك الأسري؟ وما المظاهر الدالة على كونه ظاهرة في المجتمعات العربية والإسلامية؟

٣- ما الأسباب التي تؤدي إلى هذه الظاهرة؟

٤- ما الآثار التي تعود على الوطن من جراء التفكك الأسري؟

٥- ما العلاج الناجع الذي يقدمه الإسلام لهذه الظاهرة؟

منهج البحث

اعتمدت في هذا البحث على المنهج التحليلي، ومن خلاله قمت بتحليل النصوص القرآنية والنبوية المتعلقة بالأسرة للوصول إلى مهمتها في تعزيز وحدة الوطن وتماسكه، ثم تحليل ظاهرة التفكك الأسري، وإرجاعها إلى أسبابها ومظاهرها للوصول إلى آثارها الحسية والمعنوية على وحدة الوطن واستقراره، ثم قمت بتلخيص علاج الإسلام لهذا المرض الأسري الخطير في نقاط محددة.

خطة البحث

جاء البحث مشتملاً على مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وذلك على النحو الآتي:

المقدمة واشتملت على أسباب اختيار الموضوع وأهميته، والهدف منه، ومنهج البحث فيه، وخطته.

التمهيد واشتمل على: ١- مهمة الأسرة في المحافظة على وحدة الوطن واستقراره في التصور الإسلامي.

٢- مفهوم التفكك الأسري.

المبحث الأول: أسباب التفكك الأسري ومظاهره، وبه مطلبان:

المطلب الأول: أسباب التفكك الأسري..

المطلب الثاني: مظاهر التفكك الأسري

المبحث الثاني: آثار التفكك الأسري على وحدة الوطن واستقراره، وعلاجه في ضوء الإسلام، وبه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الآثار المعنوية.

المطلب الثاني: الآثار الحسية.

المطلب الثالث: علاج التفكك الأسري في ضوء الإسلام.

الخاتمة وتشتمل على نتائج البحث وتوصياته.

وبعد.. فهذا البحث صيحة تحذير من مرض خطير يوقف سريان الروح الوطنية في نفوس أفراد المجتمع، ويستبدلها بروح الأنانية والكراهية مما يهدد التماسك الاجتماعي واللحمة الوطنية، ويصيبها في مقتل، فإن كنت قد وفقت في هذه الصيحة فبفضل الله ﷻ وحده، وربما يوقظ الغافلين، ويفتح المجال للقائمين على أمور الوطن أن يجتهدوا في وقف هذا المرض، والقضاء على أسبابه، وعلاج الآثار المترتبة عليه، وإن خرجت هذه الصيحة صرخة في واد، ولم تؤت ثمارها فبذنبي وتقصيري، وأسأل الله ﷻ أن يعفو عني، ويغفر لي، ويستعملني في خدمة دينه ونصرة شريعته إنه نعم المولى ونعم المجيب.

كتبه

محمد رمضان أبو بكر محمود

أستاذ مساعد بقسم الثقافة الإسلامية

كلية الدعوة الإسلامية – جامعة الأزهر

التمهيد

ويتضمن:

١- مهمة الأسرة في المحافظة على وحدة الوطن واستقراره في التصور الإسلامي.

٢- مفهوم التفكك الأسري.

التمهيد

أولاً: مهمة الأسرة في المحافظة على وحدة الوطن واستقراره في التصور الإسلامي

الأسرة أساس بناء المجتمع، وهي المسئولة الأولى عن وحدته وتماسكه، لأنها المؤثر الأكبر في سلوك أفراده وأفكارهم وتوجهاتهم.

يقول أ / محمد قطب: " إن البيت هو المؤثر الأول في حياة الطفل ؛ لأنه يتسلم الطفل من أول مراحله فيبذر فيه بذوره قبل أي شئ أو أي أحد آخر ؛ ولأن الزمن الذي يقضيه الطفل فيه أكثر، ولأن الأشخاص المحيطين بالطفل فيه هم ألصق الناس جميعا به وأحبهم إليه، ومن ثم فهم أكثر الناس تأثيرا فيه بالقدوة والتلقين على سواء "(١)

لهذا التأثير الشديد للأسرة على الإنسان كانت عليها مهمة كبيرة في تقويمه وتربيته وإعداده إعداداً صالحاً لكي يكون مواطناً صالحاً وعضواً نافعاً في مجتمعه ووطنه، وقبل أن أبين هذه المهمة أُعرِّج أولا على تعريف الأسرة، وبيان معناها في اللغة والاصطلاح فأقول — وبالله التوفيق —:

الأسرة في اللغة: "الدرع الحصينة.. والإسار ما شد به، والأسر: القوة والحبس. وأسرة الرجل عشيرته ورهطه الأدنون لأنه يتقوى بهم "(٢).

أما الأسرة في الاصطلاح فيقول الشيخ/ عطية صقر: " الأسرة هي الجماعة التي ارتبط ركناها بالزواج الشرعي، والتزمت بالحقوق والواجبات بين طرفيها، وما نتج عنهما من ذرية، وما اتصل بهما من أقارب سيحددون فيما بعد."(٣)

ويقول الدكتور/ أحمد حمد: " الأسرة هي الجماعة الصغيرة التي نواتها رجل وامرأة

---

(١) منهج التربية الإسلامية. ج٢ ص٩٣ ط/ دار الشروق طبعة ثانية ١٩٨١م.

(٢) انظر لسان العرب ج٤ ص٢٠ والقاموس المحيط م١ ج١ ص٣٧٧ معجم مقاييس اللغة ج١ ص١٠٧.

(٣) موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام ج١ ص٣٣. ط/ الدار المصرية للكتاب ط/ ثانية سنة ١٩٩٠م.

ربط بينهما الزواج برباطه الغليظ حفظا للنوع الإنساني، وتثبيتا للقيم الإنسانية واستمرارها "(١)

من خلال تعريف الأسرة في اللغة والاصطلاح أستطيع أن أحدد بعض عناصر مهمتها في المحافظة على وحدة الوطن واستقراره على النحو الآتي:

أولاً: بناء عقيدة الطفل

تعتبر الأسرة العامل الأساسي، والمؤثر الأول في عقيدة الطفل. فعن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلاَّ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ »(٢).والشاهد من الحديث قوله ﷺ: « فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ » أي يؤثران في فطرته، ويغيران من سجيته المسلمة، إما بقوة تأثيرهما فيه نتيجة حبه لهما واقتدائه بهما، وإما بتعليمهما له وتربيتهما إياه على هذه العقيدة(٣).

وقد أشار القرآن الكريم هذه الحقيقة الغالبة في تأثير الآباء في عقيدة الأبناء، حين حكى عن نوح عليه السلام قوله عن الكافرين من قومه: { إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً } [نوح: ٢٧]

ومن خلال بناء الأسرة للعقيدة الإسلامية لدى الطفل يعرف قيمة وطنه ومجتمعه، ويحافظ عليه ؛ ويصبح مع أعضاء وطنه ومجتمعه كعضو في جسد، لا يقبل ما يضر الجسد، ولا يسعى إلى تدميره، وإذا حدث اعتداء عليه يتداعى بالدفاع عنه والتضحية في سبيله ؛ لأنه هذا ما تدعوه إليه عقيدته، وما يدفعه إليه دينه.

---

(١) الأسرة التكوين الحقوق والواجبات ص١٥ ط/ دار القلم الكويت ط/ أولى سنة ١٩٨٣م.

(٢) صحيح الإمام البخاري – كتاب الجنائز – باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه – حديث رقم ١٣٥٨ ط. دار ابن كثير، اليمامة – بيروت الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

(٣) راجع: فتح الباري ج٣ ص٢٩٤ ط. دار الريان للتراث ـ ط. أولى سنة ١٩٨٦م.

ثانياً: تنشئة الأطفال تنشئة سليمة من أجل الوطن

من المهام الأساسية للأسرة التي تعود بالفائدة الكبرى على وحدة الوطن وتماسكه تنشئة الأطفال تنشئة سليمة من النواحي الجسمية والنفسية والخلقية ؛ لأن هؤلاء الأطفال هم عدة الوطن ومستقبله، وهم بناته وحماته عما قريب.

فمن الناحية الجسمية فقد أمر الإسلام الوالدين بالنفقة على الأولاد، وجعل نفقة الرجل على أسرته من أعظم الصدقات عند الله ﷻ. قال ﷺ: « إِذَا أَنْفَقَ الرَّجُلُ عَلَى أَهْلِهِ يَحْتَسِبُهَا فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ »(١).

" والحقيقة المؤكدة التي أثبتتها كل البحوث أن أطفال المؤسسات، ودور التربية – خاصة الصغار منهم – ينمون على نحو أسوأ من الأطفال العاديين الذين ينشأون في أسرهم، وتصدق تلك الحقيقة العامة حتى ولو كانت ظروف هؤلاء الأطفال من النواحي الصحية، والطبية، والغذائية أفضل من ظروف أطفال الأسر العادية في بقية المجتمع الخارجي "(٢)

ومن الناحية النفسية فإن للطفل حاجات نفسية لا يمكن أن يستغني عنها مثل: حاجته إلى الحب والحنان والعطف والشعور بالرعاية، والمصدر الرئيسي لهذه الحاجات هي – بلا شك – أمه؛ لأنها ألصق الناس به حيث حملته في بطنها، وغذته بدمها، فصار كأنه قطعة من لحمها، ولذا أعاد الله ﷻ كليمه موسى عليه السلام وهو رضيع صغير إلى حضن أمه. قال ﷻ: { فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} [القصص: ١٣]

يقول أ/ محمد قطب: " الأسرة هي المجال الطبيعي الوحيد الذي تربى فيه عواطف

---

(١) صحيح الإمام البخاري – كتاب الإيمان – باب ما جاء إن الأعمال بالنية والحسبة ولكل امرئ ما نوى ؛ صحيح مسلم – كتاب الزكاة – باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين من الزوج والأولاد ط. دار الجيل بيروت و دار الأفاق الجديدة ـ بيروت.

(٢) الاتجاهات المعاصرة في دراسة الأسرة. د/ علياء شكري ص٢١٤ – ضمن سلسلة علم الاجتماع المعاصر – الكتاب الخامس والعشرون – بدون مطبعة ولا تاريخ.

الطفل – لا جسده فحسب – على أساس إنساني، وهي البيئة الوحيدة التي يمكن أن نزرع فيها عواطف الحب، والرحمة، والمودة في نفوس الأطفال، لتتمكن – بعد ذلك – من إنشاء مجتمع متعاون متعاطف تقوم علاقاته على الحب أكثر ما يقوم على الصراع."(١)

ولذا يؤدي التفكك الأسري إلى وجود جيل جاف المشاعر قاسي القلب لا مكان لحب الوطن والمجتمع عنده، بل يسعى إلى الانتقام من هذا الوطن والمجتمع – كما سيأتي عند الحديث عن أثر التفكك الأسري على الوحدة الوطنية.

ومن الناحية الخلقية تتحمل الأسرة المسئولية الكبرى نحو تربية الجانب الخُلقي في نفس الطفل، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه المسئولية الأسرية عن تنشئة الطفل على الأخـلاق الفاضلة حين حكى قول أهل مريم عليها السلام لها، وهم ينفون عنها الفاحشة: { يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا } [مريم: ٢٨]

فلاجتماع العنصرين الفاضلين من الأب والأم أثر في أخلاق وعادات السيدة البتول مريم عليها السلام بحيث أصبح لا يتصور منها الفاحشة بسبب تنشئتها في أسرة فاضلة.

يقول د/ محمد سلامة غباري: " الطفل حيوان صغير مقلد، يتأثر بكل ما يحيط به من أنماط سلوكية مختلفة، وليس أهم من الوالدين من يستطيع أن يرسم للطفل طريق المحاكاة والتقليد، فالطفل يتعلم الكثير من والديه، ويتعلم ذلك بسـرعة فائقة، فكل اضطراب في سلوك الوالدين، أو انحراف في شخصيتهم، لا شك يعكس آثاره على شخصية الطفل عاجلاً أو آجلاً "(٢).

ثالثاً: صهر الفرد في بوتقة المجتمع.

ذلك أن الإنسان بطبيعته يميل إلى الأنانية، وحب الذات، ولا يقلل عنده هذا الشعور

(١) الإنسان بين المادية والإسلام ص١٨٧ – ط/ دار الشروق – ط/ سادسة سنة ١٩٨٠م.

(٢) الانحراف الاجتماعي ورعاية المنحرفين ص١٣٠ – ط/ المكتب الجامعي الحديث – الإسكندرية سنة ١٩٨٩م.

إلا بالزواج، وتكوين الأسرة، والتعود على العمل من أجل الآخرين، والتضحية في سبيل إسعادهم.

فقبل الزواج يسعى الفرد والغالب إليه أنه ينظر إلى مصلحته الشخصية، ويقدمها على أي مصلحة للآخرين، وبعد الزواج تتغير نظرته إلى الحياة، فيقدم مصلحة أسرته وأولاده على مصلحة نفسه، ويتخلى عن سعادته من أجل إسعادهم ؛ وهذا يعوده على البذل والعطاء ونفع الغير.

يقول أ/ البهي الخولي – رحمه الله-: " من مدلولات الزواج أن الرجل حين يسعى في أفقه الاقتصادي، ويوزع حصيلة سعيه على هؤلاء الأبناء – أو على هؤلاء الآخرين – قد صار يعمل لغيره، بعد أن كان يعمل لنفسه فحسب، وأنه صار يؤثر غيره على نفسه بنصيب مما معه ؛ بعد أن كان يجعل كل شيء لنفسه فقط ؛ وذلك شأو بعيد في تكوين الذات الاجتماعية "(١).

كذلك ربى الزواج في الإنسان عدم التعدي على حقوق الآخرين وممتلكاتهم الشخصـية، والاكتفاء بما أحل له دون التطلع إلى ما في يد الآخرين.

يقول أ/ البهي الخولي – أيضًا –: " ومن مدلولات الزواج أن المرء قد رسم لنفسه مجالاً خاصًا، لتحقيق رغباته الجنسية، يجب أن لا يتخطاه إلى مجالات الآخرين.. وهو بهذا يعالج أنانيته لنفسه، ويعود نفسه التزام حدود معينة لا يتعداها تقديرًا لحرمات سواه.. ولا شك أنه بهذا يخطو خطوات سديدة موفقة نحو صلاحيته الاجتماعية "(٢). ولذا علمه رسول الله ﷺ فقال: « فَإِذَا أَبْصَرَ أَحَدُكُمُ امْرَأَةً فَلْيَأْتِ أَهْلَهُ فَإِنَّ ذَلِكَ يَرُدُّ مَا فِي نَفْسِهِ»(٣).

(١) الإسلام والمرأة المعاصرة – ص٤٢ ط. دار القلم. كويت. ط. ثالثة.

(٢) المرجع السابق – نفس الصفحة.

(٣) صحيح مسلم – كتاب النكاح – باب ندب من رأى امرأة فوقعت في نفسه أن يأتي امرأته – حديث رقم ٣٤٧٣.

وهنا تقوم الأسرة بدورها في حماية الوطن من الثروات الإنسانية، وحب الاعتداء على الممتلكات الخاصة الذي يكون عند بعض الناس مما يحفظ للوطن أمنه واستقراره.

رابعاً: المحافظة على تماسك العلاقات الاجتماعية واستمرارها.

سبق أن ذكرت في تعريف الأسرة من الناحية اللغوية أنها مأخوذة من الأسر، وهو الحبس والشدة، وهذا المعنى اللغوي للأسرة يشعرك بأنها سور حصينة ودرع واقي لنظام أراده الله ﷻ، وفطر الناس جميعا عليه يصعب اختراقه، وإذا انكسر هذا الدرع، وانهد هذا السور ضاعت العلاقات في المجتمع، فلم تعد هناك أبوة أو بنوة أو أمومة أو عمومة... الخ.

ومن ثم يتميز الإسلام بأن" الأسرة فيه أوسع مدى من الأسرة في القوانين الأخرى، فإن الأسرة في الإسلام تشمل الزوجين والأولاد والذين هم ثمرة الزواج وفروعهم. كما تشمل الأصول من الأباء والأمهات والأجداد والجدات، وتشمل أيضا فروع الأبوين وهم الأخوة والأخوات وأولادهم، وتشمل أيضا فروع الأجداد والجـدات العم والعمة وفروعهما، والخال والخالة وفروعهما..

وهكذا كلمة الأسرة في الإسلام تشمل الأقارب جميعا سواء منهم الأدنون وغير الأدنين، وهي حيثما سارت أوجدت حقوقاً، وأثبتت واجبات، وتتفاوت مراتب هذه الحقوق بمقدار قربها من الشخص وبعدها عنه "(١)

قال ﷻ: {فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الروم: ٣٨]

وقال ﷺ للرجل الذي جاء يسأله: من أبر؟ قال: « أُمَّكَ وَأَبَاكَ وَأُخْتَكَ وَأَخَاكَ وَمَوْلَاكَ الَّذِى يَلِى ذَاكَ حَقٌّ وَاجِبٌ وَرَحِمٌ مَوْصُولَةٌ »(٢)

والأسرة تربط المجتمع ببعضه ببعض من خلال علاقة النسب والمصاهرة التي تكون بين

(١) تنظيم الإسلام للمجتمع للشيخ / محمد أبو زهرة ص٦٢ بتصرف ط. دار الفكر العربى.د.ت.
(٢) أخرجه أبو داود كتاب الأدب باب بر الوالدين ح٥١٤٠ ج٤ ص٣٣٦ وقال في عون المعبود: حديث مرسل ج١٤ ص٣٥.

التفكك الأسري وأثره على وحدة الوطن واستقراره

العائلات قال- ﷻ - { وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاء بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيراً } [الفرقان: ٥٤]

والنسب والصهر معنيان يعمان كل قربى تكون بين آدميين.(١)فالإنسان في ابتداء أمره ولد نسيب، (أي ذو نسب يقال فلان بن فلان بن فلان) ثم يتزوج فيصير صهراً، ثم يصير له أصهار وأختان وقرابات.(٢)

وهذا يضفي على الأسرة جوًا من المحبة والترابط والتماسك، ويجعل أفرادها يشعرون بقيمة الحياة، ويتعاملون بقيم الحب والخير، والتعاون والسلام مع جميع أفراد المجتمع. فضلا عن كونه يبعث علي الطمأنينة في نفـوس الآباء إن ماتوا وتركوا أولادهم صغاراً، أو إذا كبروا وعجزوا عن الإنفاق عليهم.وهذا كله يصب في تماسك المجتمع ووحدة أفراده.

خامسًا: المحافظة على قيم المجتمع ووحدته الثقافية وتوريثها للأجيال القادمة

من المهمات الأساسية للأسرة المحافظة على قيم المجتمع وثقافته، وتوريثها للأجيال جيلاً بعد جيل ؛ لأن هذه القيم هي التي تحفظ للمجتمع وحدته، وتمنحه صفة التميز والاستقلالية بين المجتمعات الأخرى، وفي نفس الوقت تزيد من حب الوطن في نفوس أبنائه، وتدفعهم إلى التعلق به.

يقول أ/ العقاد –رحمه الله-: " لولا الأسرة لم تحفظ صناعة نافعة توارثها الأبناء عن الآباء ثم توارثها أبناء الأمة جمعاء، ولولا الأسرة ما اجتمعت الثروات التي تفرقت شيئا فشيئا بين الوارثين وغير الوارثين من الأعقاب، ولولا الأسرة لاستجاب لدعوة الهدم والتخريب كل من لا خلاق له من حثالات الخلق ونفاياتهم في كل جماعة بشرية، فالأسرة هي التي تمسك اليوم ما بناه النوع الإنساني في ماضيه وهي التي تؤول به غدا إلى أعقابه وزراريه حقبة بعد حقبة وجيلا بعد جيل... لا أمة حيث لا أسرة... بل لا آدمية حيث لا أسرة "(٣).

(١) الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (١٣/ ٥٩) ط. دار الشعب بالقاهرة. بدون تاريخ.
(٢) تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٦/ ١١٧) ط.دار الحديث.ط. ثانية سنة ١٩٩٠م.
(٣) حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ص ١٣٨ ط/ دار الهلال سنة ١٩٦٩م.

سادسًا: دفع حركة العمل والإنتاج.

من الأشياء التي تعود بالنفع على الوطن من خلال تكوين الأسرة شعور الرجل والمرأة بالاستقرار والطمأنينة، وهذا الشعور يدفع كلاً منهما إلى بذل ما يستطيع في العمل والإنتاج في مجاله وتخصصه، الزوج يكدح ويعمل بجد في الخارج ليوفر لأسرته ما تحتاجه من نفقات المعاش وضرورات الحياة، بل يسعى لإعطاء أسرته كل الكماليات والرفاهية، والمرأة من جانبها تبذل قصارى جهدها في بيتها للقيام بشئونه والمحافظة عليه، وتربية أولادها، وإذا كانت عاملة تسعى لبذل ما يحتاجه العمل منها بإخلاص وإتقان. وهذا كله يعود على المجتمع بكثرة الإنتاج والتقدم والرخاء.

وعلى العكس من ذلك عندما تصاب الأسرة بالتفكك وتحدث فيها المشكلات وتوشك على الانهيار، أو تكون قد انهارت بالفعل نجد روح الخمول والكسل واللامبالاة والتفريط تسري في الرجل والمرأة ؛ لعدم وجود حافز من الاستقرار والحب يدفعهم إلى ذلك من جهة، وانتقاماً من المجتمع من جهة أخري – وسيأتي الحديث عن ذلك بالتفصيل من خلال الآثار الحسية للتفكك الأسري على الوحدة الوطنية في المطلب الثاني من المبحث الأخير بمشيئة الله تعالى-.

هذه بعض المهام التي تؤديها الأسرة نحو وحدة المجتمع وتماسكه وأمنه واستقراره، والتي لا يمكن لأي مؤسسة أخرى – مهما بلغ مستواها المادي – أن تؤديها. ومن ثم تتضح أهمية المحافظة على المؤسسة الأسرية من عوامل التفكك والضياع من أجل الإسلام أولاً، ومن أجل الوطن والمجتمع ثانياً.

ثانيًا: مفهوم التفكك الأسري

لم يتفق علماء النفس الاجتماعي، وعلماء الاجتماع على تعريف محدد وواضح لظاهرة التفكك الأسري، ويرجع ذلك – من وجهة نظر الباحث- إلى أمرين:

الأول: كثرة المظاهر والأسباب المؤدية إلى التفكك الذي يصيب الأسرة، ومحاولة كل من يقوم بتعريف التفكك الأسري أن يحصي كل هذه المظاهر والأسباب داخل التعريف، ولو فُصلت الأسباب والمظاهر عن التعريف لخرج التعريف بصورة موجزة وواضحة.

ومن أمثلة التعاريف المتضمنة لكثير من أسباب التفكك الأسري تعريف الدكتورة / شادية التل حيث تقول: "إن مفهوم التفكك الأسري يشير إلى اختلال السلوك في الأسرة، وانهيار الوحدة الأسرية، وانحلال بناء الأدوار الاجتماعية لأفراد الأسرة، جراء عدد من العوامل أو الأسباب، لعل أبرزها: عدم الالتزام ببعض الأسس الشرعية للزواج ابتداء، والمشكلات الأسرية، وفشل الوالدين في التنشئة الأسرية السليمة، والفقر والبطالة، وعمل المرأة، ووجود الخدم في الأسرة، والطلاق، والخيانة الزوجية، وتحديات العولمة والإعلام، والزواج بغير المسلمة."(١)

الثاني: كثرة المصطلحات المرادفة لمصطلح التفكك الأسري مثل البيوت المحطمة، وتصدع الأسرة، التفكك العائلي، العائلة المتداعية، العائلة المكسرة، وهذه المصطلحات مترجمة – غالباً – عن المصطلحات الغربية، مع أنها في اللغة العربية من قبيل المترادفات. لكنهم في الغرب يحاولون أن يجعلوا لكل مصطلح من هذه المصطلحات تعريفاً خاصاً، وهناك من الكتاب العرب من يجاريهم في ذلك.

يقول الباحث / مبارك آل شافي: " يشير مصطلح التفكك الأسري في الرؤية الغربية إلى فقدان أحد الوالدين أو كليهما، أو إلى الطلاق، أو تعدد الزوجات، أو غياب رب العائلة مدة طويلة.

(١) التفكك الأسري دعوة للمراجعة، شادية التل وشافي بن سفر الهاجري، وآخرون، ط وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – قطر، سلسلة كتاب الأمة، العدد١٤٢٢،٨٥هـ.

وقد يشار إلى نفس المعنى السابق بعدة مصطلحات أجنبية أبرزها (family disorganization) أي الانحلال الأسري... واستخدم بعضهم المصطلح السابق بمعنى الانفصال أو الطلاق أو الهجر أو الموت أو الغياب الطويل لأحد الزوجين. بينما أطلق مصطلح العائلة المتصدعة (the broken family) ليشير إلى الأسرة التي تفككت بالموت أو الطلاق أو الانفصال بسبب نزاع عائلي.

وهناك من استخدم مصطلح (broken home) أو الأسرة المفككة للإشارة إلى الأسرة التي يغيب عنها على الأقل أحد الوالدين بسبب الطلاق أو الوفاة أو الهجر.ويفضل الاختصاصيون الاجتماعيون في الولايات المتحدة الأمريكية استخدام تعبير الأسرة ذات العائل الواحد (single parent family). وهناك – أيضاً – مصطلح (disengaged family) أي الأسرة غير المترابطة التي يوجد بين أعضائها وأنساقها عوائق شديدة تؤدي إلى الحد من التفاعل بينهم، أو إلى العزلة النفسية بين الفرد والآخر"(١)

ويلاحظ على هذه الرؤية الغربية للتفكك الأسري أنها تدور حول معان واحدة مركزة على النواحي الحسية في التفكك من الموت والطلاق والهجر والسجن ونحو ذلك دون أن تشير إلى النواحي المعنوية من التفكك داخل الأسرة التي لم تنفصل في الظاهر، وإن كنت مفككة في الداخل.

كما أننا نلاحظ على كثير ممن يتناولون مفهوم التفكك الأسري في الغرب والشرق تأكيدهم الشديد على أن انفصال الزوجين بالطلاق أو الموت أو الهجر هو الصورة الأساسية للتفكك الأسري، وهذا عوار شديد في التعريف لأن هذا الانفصال ليس المظهر الوحيد للتفكك، وليس مؤدياً بالضرورة إلى تفكك الأسرة. بل قد يكون دافعاً كبيراً إلى

(١) التفكك الأسري وانحراف الأحداث، الباحث / مبارك آل شافي ص ١٤ – ١٥ بتصرف رسالة ماجستير بجامعة نايف للعلوم الأمنية – كلية الدراسات العليا – قسم العلوم الاجتماعية – الرياض ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.

تماسك بقية أفرادها، وباعثاً لهم على تأدية أدوارهم الأسرية المناطة بهم بنجاح واقتدار، وهناك أسر لم تنفصل لكنها مفككة من الداخل بفعل عوامل كثيرة، وسيأتي تأكيد وتوضيح لهذه الملاحظة عند الحديث عن مظاهر التفكك الأسري – بمشيئة الله تعالى-.

وتفادياً لهاتين الملاحظتين فإنني عند الحديث عن تعريف التفكك الأسري في الاصطلاح سأركز عل العلماء والباحثين الذين نظروا إلى التفكك نظرة شمولية من خلال أدوار الأسرة في المجتمع، وذلك على النحو الآتي:

تعريف التفكك الأسري لغة:

التفكك في اللغة مأخوذ من فك الشيء يفكه فكا فانفك فصله، وأصل الفك الفصل بين الشيئين وتخليص بعضهما من بعض(١). فيكون معنى التفكك الأسري في اللغة: انفصال أفراد الأسرة بعضهم عن بعض بحيث يكون كل شخص في الأسرة قائماً بذاته لا يربطه بأفراد الأسرة رابط.

تعريف التفكك الأسري اصطلاحاً:

يقول د/ إبراهيم الصنيع في تعريف التفكك الأسري: " فشل واحد أو أكثر من أعضاء الأسرة في القيام بواجباته نحوها مما يؤدي إلى ضعف العلاقات وحدوث التوترات بين أفرادها وهذا يفضي إلى انفراط عقدها وانحلالها."(٢)

ويعرف الدكتور / أحمد زكي بدوي التفكك (الانحلال) الأسري بأنه:" اتجاه التفاعل بين الوحدات التي تتكون منها الأسرة ضد المستويات الاجتماعية المقبولة بحيث يحول ذلك بين الأسرة وبين تحقيق وظائفها والتي لابد لها من القيام بها لتوفير الاستقرار والتكامل بين أفرادها ".(٣)

(١) لسان العرب ١٠/ ٤٧٥ محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ط: دار صادر – بيروت ط أولى بدون تاريخ.

(٢) التفكك الأسري الأسباب والحلول المقترحة، د. أمينة الجابر و آخرون ص ٢٥ ط وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – قطر، سلسلة كتاب الأمة، العدد/ ٨٣،١٤٢٢هـ.

(٣) معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ص ١٥٣ ط مكتبة لبنان – بيروت ١٩٨٢م.

في حين يعرفه الدكتور / محمد عاطف غيث بأنه: (وهن أو سوء تكيف وتوافق، أو انحلال يصيب الروابط التي تربط الجماعة الأسرية كلاً مع الآخر، و لا يقتصر وَهْنُ الروابط على ما يصيب العلاقات بين الرجل والمرأة. بل قد يشمل علاقات الوالدين بأبنائهما. "(١)

ومع تقارب هذه التعاريف فإن مصطلح تفكك الأسرة يشير إلى انهيار الوحدة الأسرية وانحلال بناء الأدوار الاجتماعية المرتبطة بها عندما يفشل عضو أو أكثر في القيام بالتزاماته ودوره بصورة مرضية.

ومن ثم يمكن تحديد **مفهوم التفكك الأسري بأنه:** انهيار البناء الأسري، وانفصام عرى الروابط الأسرية بين لبناته بحيث لا يقوم كل عضو من أفراده بدوره في التنشئة الاجتماعية السليمة، فتصبح الأسرة عبئاً وخطراً على المجتمع كله.

هذا. وقد قسم علماء الاجتماع التفكك الأسري إلى أنواع وأنماط كثيرة من هذه الأنواع:

١- التفكك الجزئي الذي يصيب الأسرة، وتبدو مظاهره في الانفصال المؤقت والهجر المنقطع، أو بمعنى آخر أن الزوج أو الزوجة قد يعاودان الحياة الأسرية من جديد ويستأنفان علاقتهما المتبادلة في فترات إصلاح ذات البين، ولكن من المستبعد أن تستقيم الحياة الزوجية في مثل هذه الحالات، بل قد تكون مهددة من حين إلى آخر بالانفصال والهجر من جديد.

٢- التفكك الكلي أو انحلال الأسرة، وتبدو مظاهره في إنهاء العلاقة الزوجية بالطلاق أو تدمير وفناء حياة الأسرة، بالفشل أو انتحار أحد الزوجين أو كلاهما معاً. "(٢)

---

(١)المشاكل الاجتماعية والسلوك الانحرافي ص ١٤٨- ١٤٩ ط دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية ١٩٨٢م.

(٢) أثر التفكك العائلي في جنوح الأحداث. جعفر عبد الأمين الياسين، ص٢٥. ط.عالم المعرفة بيروت ط١ ١٩٨١م.

وهناك تقسيمات أخرى للتفكك الأسري من حيث التفكك بالقانون وعدمه، ومن حيث التفكك النفسي والحسي، ومن حيث العلاقات الاجتماعية داخل الأسرة...إلخ، وهذه التقسيمات – من وجهة نظر الباحث – تقسيمات علمية اصطلاحية، واستعراضها بالتفصيل – فضلاً عن كونه يؤدي إلى تشعب البحث- لا يضيف شيئاً ذا بال للظاهرة محل البحث، فالذي يُعنى به البحث في المقام الأول أثر التفكك الأسري على وحدة الوطن وتماسكه.

وبعد هذا التمهيد أنتقل إلى المبحث الأول من هذا البحث، والذي بعنوان: مظاهر التفكك الأسري وأسبابه.

المبحث الأول:
أسباب التفكك الأسري ومظاهره

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أسباب التفكك الأسري.

المطلب الثاني: مظاهر التفكك الأسري.

المطلب الأول
أسباب التفكك الأسري

كتب كثير من الباحثين في شئون الأسرة عن أسباب المرض الخطير الذي يصيب الأسرة في مقتل، ويجعل وجودها كعدمها، وهو مرض التفكك والانحلال، وبين يدي عرض هذه الأسباب أقدم بعض الملاحظات على النحو الآتي:

الأولى: ليست هذه الأسباب بالضرورة تؤدي إلى التفكك الأسري، فكم من أسرة تعاني من سبب، أو أكثر من هذه الأسباب، وهي تعيش حياة متماسكة قوية تؤدي مهمتها ورسالتها نحو أبنائها ومجتمعها. بل قد تكون إصابتها بأحد هذه الأسباب دافعاً لها لشدة التماسك والاستقرار.

الثانية: إن أسباب التفكك الأسري ليست ثابتة ولا جامدة، وإنما متحركة في أثرها وتأثيرها حسب الظروف والتطورات.

الثالثة: لا يشترط اجتماع هذه الأسباب كلها للوصول بالأسرة إلى التفكك والانحلال بل يكفي وجود سبب واحد عند بعض الأسر لتصل إلى الضعف والانهيار، وبعض الأسر تحتاج إلى سببين، وبعضها إلى ثلاث... وهكذا.

الرابعة: أن تصنيف هذه الأسباب وجمعها تصنيف وجمع احتهادي من العلماء والباحثين والمفكرين المهتمين بشئون الأسرة، ومن ثم فقد تكون هناك أسباب لم يتناولوها، أو لم يولوها اهتماما وبحثاً، وقد يكون هناك سبر وتقسيم للأسباب أفضل من تقسيم آخر، وفي النهاية هو اجتهاد منهم على قدر طاقتهم وإمكاناتهم.

ومن هنا حاولت بدوري أن أجمع أكبر عدد من هذه الأسباب مع تصنيفها تصنيفاً موضوعياً مبسطاً يتناسب مع حجم هذه الدراسة الموجزة، وذلك على النحو الآتي:

أولاً: أسباب قبل تكوين الأسرة:

قد يتعجب البعض أن هناك أسباباً للتفكك الأسري قل أن تتكون الأسرة نفسها باجتماع الرجل والمرأة تحت سقف واحد في عقد زواج شرعي، لكن مع دراسة وتأمل

أسباب الكثير من حالات الطلاق الذي يمثل قمة انهيار الأسرة وتفككها، ومع دراسة أسباب فساد الأولاد وضياعهم تبين أن كثيرا من الأسر التي وصلت إلى هذه النتيجة السيئة كان تكوينها من البداية يشوبه أخطاء فادحة مما يجعلني أقول: إن أهمية أسباب التفكك الأسري قبل الزواج لا تقل أهمية عن الأسباب التي تطرأ بعد الزواج إن لم تكن أشد أهمية لأن الوقاية خير من العلاج، وسيتضح ذلك من خلال استعراضنا لهذه الأسباب على النحو الآتي:

١- عدم فهم رسالة الأسرة والمقصود منها.

يتطلع الشاب والفتاة إلى الزواج منذ بلوغهما الحلم، وينظرا إلى الزواج –غالباً- من ناحية واحدة ناحية الحب والعواطف والمشاعر، فالفتاة تنتظر فارس الأحلام الذي سيطير بها إلى عالم الخيال والأساطير، والشاب يحلم بملكة الجمال التي ستحول حياته إلى نعيم وهناء لا ينقطع، ولا يعلم كلاهما أن الزواج وتكوين الأسرة وراءه أهداف كثيرة، وليس هدفا واحداً هو الاشباع العاطفي والجنسي، من هذه الأهداف:

أ) إنجاب الذرية التي تعمر الكون وتحمل رسالة الاستخلاف.

ب) تربية الأولاد تربية سليمة.

ج) إقامة روابط وصلات اجتماعية قوية بين الناس فيزداد تماسك المجتمع ويشتد بنيانه.

د) السكن العاطفي والجنسي.

وهذه الأهداف نذكّر بجميعها حتى إذا ما هدأت العواطف، وسكنت المشاعر، وشبعت النفوس لم تتحول الأسرة إلى عبء ينوء به كلا الزوجين ويحاولا التخلص منه. وحتى إذا ما هبت رياح المشكلات على الأسرة لم تنفصم عراها من أول لحظة يصيبها الغبار.

تقول الدكتورة / أمينة الجابر: " عدم فهم الزوجين لطبيعة الحياة الزوجية، وإدراكهما لما يجب عليهما حفاظاً على هذه الحياة واستمرارها، وعدم انتهائها إلا بوفاة أحد الزوجين أو كليهما، وأيضاً عدم فهم الزوجين لما يجب على كل منهما نحو الآخر من الحقوق

والواجبات، وأن كلاً منهما راع ومسئول عن رعيته. إن عدم ذلك الفهم أو الأمية الدينية في فهم الحياة الزوجية يهدد الأسرة بالقلق الذي ينتهي بها إلى التفكك أو التفرق. "(١)

٢- عدم الاستعداد والتدريب على تحمل مسئوليات الأسرة وتربية الأولاد.

تقع على الأسرة التي يتخرج منها الزوجان مسئولية كبيرة في تجنيب أولادهما في المستقبل خطر التفكك الأسري، وذلك بتدريبهما على تحمل المسئولية عموماً، ومسئولية الأسرة خصوصاً، فالآباء يجب عليهم مع أبنائهم إذا كبروا، وصاروا مطيقين للعمل أن يدربوهم ويستعينوا بهم على أعمالهم؛ لكي يعودوهم على تحمل المسئولية فإذا صاروا بعد ذلك آباء نجحوا في تحمل مسئولية أسرهم، والمحافظة عليها. والبنات يقع عبئهن على الأم، فالأم الناجحة هي التي تعد للمجتمع أماً ناجحة في المستقبل لا التي تخرج للمجتمع فتاة مدللة لا تعرف معنى الأسرة والبيت بل لا تعرف من الحياة إلا الزينة واللهو واللعب.

إن كثيراً من الأمهات يجنين على بناتهن بتدليلهن فإذا ذهبن إلى بيوت أزواجهن فوجئن بحياة جديدة لم يعرفوا عنها شيئاً، وفوجئن بمسئوليات عظيمة لم يسمعن بها. والتاريخ العربي ما زال يحفظ لنا كثيراً من وصايا الآباء والأمهات لبناتهم عند زواجهم(٢)، ولكن العصر الحديث لا يحتاج إلى هذه الوصايا عند الزفاف فحسب. بل يحتاج إلى سنوات طوال تعد فيه البنت لتحمل مسئولية الأسرة والزوج وتربية الأولاد.

إن عدم إدراك كثير من الأمهات والآباء في العصر الحديث لهذه المسئولية في إعداد أبنائهم وبناتهم ليكونوا آباء وأمهات المستقبل كان من أهم أسباب كثرة حالات التفكك الأسري بين المتزوجين حديثا. فهل تسمع الأسر المسلمة وتعي ذلك!

ومن التدريب على تحمل مسئوليات الأسرة تعليم الآباء والأمهات أولادهم الحقوق والواجبات الزوجية ؛ لأن كثيراً من المشكلات التي تعصف بالحياة الأسرية تكشف عن

(١) التفكك الأسري الأسباب والحلول المقترحة، د. أمينة الجابر وآخرون ص ١٨ مرجع سابق..

(٢) راجع عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري ١/ ٣٩٥- ومحاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني ١/ ٤١٥..

جهل واضح بالحقوق والواجبات الأسرية بين الزوج وزوجته، وبين الآباء والأبناء، وهذا الجهل يعود إلى أمرين:

أولاً: عدم المعرفة بالأحكام الشرعية المتعلقة بالأسرة، كحكم طاعة الزوجة لزوجها، وحدود هذه الطاعة، وحكم خروج المرأة من بيت زوجها وهو كاره، وأحكام الهجر في الأسرة، ومتى تعد المرأة ناشزاً، وأحكام الطلاق والخلع، والعدة وأنواعها... ونحو ذلك من الأحكام التي لا يسع المقام تفصيلها.

ثانياً: عدم قيام الأسرة بدورها في إعداد أولادها وإعلامهم بالحقوق المتبادلة بين الزوجين.

والإسلام أولى الحقوق والواجبات الأسرية اهتماماً بالغاً، ووضح في آيات قرآنية وأحاديث نبوية كثيرة ما يجب على الزوج نحو زوجه، وما يجب على الزوجة نحو زوجها، وما يجب على الآباء نحو الأبناء وما يجب على الأبناء نحو الآباء، ومن ذلك على سبيل المثال -لئلا يتسع بنا المقام - قوله ﷻ في واجبات الزوج { وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ } [النساء: ١٩] وقوله ﷻ في حقوق الزوجة وواجباها { وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ } [البقرة:٢٢٨]

وفي حقوق الأبناء على آبائهم قال – جل وعلا -: { وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى} [طه: ١٣٢]

وفي حقوق الآباء على الأبناء قال – سبحانه – { وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً } [الإسراء: ٢٣ -٢٤]

ولا شك أن معرفة أفراد الأسرة لهذه الواجبات من البداية، والقيام بها ابتغاء رضا الله ﷻ ما يحفظ الأسرة من التفكك والضياع، ويجعلها قوية متماسكة أمام العواصف والمشكلات، والعكس بالعكس. فإن اهمال هذه الواجبات والحقوق وعدم الالتفات

إليها ما يعرض أي أسرة للانهيار في المستقبل، وبخاصة عند مواجهة أصغر مشكلة تطرأ عليها.

٣- سوء الاختيار من كلا الزوجين.

يحض المنهج الإسلامي في اختيار شريك العمر على أن يكون عماد هذا الاختيار القيم الثابتة، وعدم الاغترار بالقيم الزائلة، ولذلك كان الدين والخلق الطيب دعامة أساس في هذا المنهج، وكان ما سوى هذه الدعامة كالجمال والمال والحسب مساعداً له بعد توافر عنصر الدين والخلق. فهذا العنصر هو الذي يحمي الحياة الزوجية من بوادر النشوز والإعراض، وله دوره الفعال في التغلب على ما يعترض الأسرة من مشكلات تهدد أمنها واستقرارها فضلاً عن أنه يهيئ الجو الصالح لتربية الأبناء تربية سليمة.

والأحاديث النبوية كثيرة في الحض على أن يكون الاختيار في الزواج مناطه الاعتصام بالدين والخلق ومنها:

قوله ﷺ: " تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك "(١)

وقوله ﷺ: " إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض"(٢)

ولا يعني دعوة الإسلام إلى أن يكون الدين والخلق هو معيار اختيار الزوجين نبذ المعايير الأخرى من الجمال والمال والحسب ونحوها ، وإنما يعني أن يكون الدين والخلق الشرط الأساس في الاختيار بين الزوجين.

وكم من المشكلات الأسرية كان سببها الرئيس هو التركيز على القيم الزائفة فقط،

(١) صحيح الإمام البخاري كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين ٥/ ١٩٥٨ صحيح مسلم كتاب الرضاع - باب استحباب نكاح ذات الدين رقم ١٤٦٦.

(٢)سنن الإمام الترمذي كتاب النكاح – باب إذا جاءكم من ترضون دينه فزوجوه ٣/ ٣٩٤ وقال الألباني: حديث حسن ط. دار إحياء التراث العربي بيروت بدون تاريخ.

وإهمال قيمتي الدين والخلق فلما ذهب الجمال، وفني المال لم يكن هناك داع عند كلا الزوجين أو أحدهما لمواصلة رحلة الزواج فتفككت الأسرة وضاعت.

وصدق رسول الله ﷺ حين قال: " لا تزوجوا النساء لحسنهن. فعسى حسنهن أن يرديهن. ولا تزوجوهن لأموالهن. فعسى أموالهن أن تطغيهن. ولكن تزوجوهن على الدين. ولأمة خرماء سوداء ذات دين أفضل"(١)

٤- العادات والتقاليد السيئة التي تتحكم في بناء الأسرة

" لقد فرضت التقاليد والعادات في بعض المجتمعات الإسلامية أنماطاً متنوعة من الزواج تخالف بعض ما دعا إليه الإسلام، ومن ذلك إجبار الفتى أو الفتاة على الزواج بمن لا يأنس إليه ولا يرغب في العيش معه، وقد نهى الرسول ﷺ عن مثل هذا الزواج، وبين أنه لا يجوز أن تُزوج امرأة بغير رضاها، ولا يكره الرجل على العيش مع امرأة ينفر منها، ولا يميل إليها. قال ﷺ: " الثيب أحق بنفسها من وليها والبكر يستأذنها أبوها فى نفسها وإذنها صماتها. "(٢)

ومن العادات والتقاليد المخالفة لهدي الرسول ﷺ في الزواج -أيضاً- عدم الرؤية الشرعية قبل العقد، مما يجعل الرجل أو المرأة تفاجأ بعد العقد والدخول بالزواج بمن لا يسره أن ينظر إليه، أو يجد الراحة النفسية حين لقائه والحديث معه"(٣)

وقد قال رسول الله ﷺ لرجل من الصحابة حين ذهب ليتزوج " انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما "(٤)

إن هذه العادات وأمثالها تجعل الأسرة معرضة للتفكك والانهيار العاجل ؛ لأنها مبنية

---

(١) سنن ابن ماجه كتاب النكاح، باب تزويج ذات الدين ١/ ٥٩٧ وقال الألباني: ضعيف { سنن ابن ماجه بتعليق الألباني ط. دار الفكر بيروت بدون تاريخ }.

(٢) صحيح مسلم كتاب النكاح، باب استئذان الثيب فى النكاح بالنطق والبكر بالسكوت ٤/ ١٤١.

(٣) التفكك الأسري الأسباب والحلول ص ١٧ بتصرف كبير.

(٤) سنن الترمذي كتاب النكاح، باب النظر إلى المخطوبة ٣/ ٣٩٧ وقال الألباني: صحيح. مرجع سابق.

على غير أساس سليم من المحبة والوفاق والوئام الذي يريده الإسلام، وغالباً لا يتحقق معها السكن النفسي والجسدي الذي يريده الله ﷻ من الأسرة.

٥- عدم التكافؤ بين الزوجين.

وهذا السبب له علاقة وثيقة بالسببين السابقين فمن سوء الاختيار بين الزوجين، ومن الخضوع للأعراف والتقاليد البالية المخالفة لهدي الإسلام عدم مراعاة الكفاءة بين الزوجين، والمقصود بالكفاءة التقارب – وليست المساواة المطلقة – في المستوى الاجتماعي والاقتصادي والتعليمي بين أسرتي الزوجين.

وهذا التقارب ليس المقصود منه جعل الناس طبقات، فالأساس في الإسلام أن الناس يتفاضلون بالتقوى وطاعتهم لله – تعالى- قال ﷻ{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ }[الحجرات: ١٣]

وإنما المقصود منه إبعاد الأسرة المسلمة عن مثيرات التفكك والشقاق، وتوثيق عرى المحبة والمصاهرة بين الزوجين وأسرتيهما.

وهذه الكفاءة في جانب المرأة فقط، وأما الرجل فيجوز أن يتزوج بمن دونه ؛ لأن المرأة إذا تزوجت بمن دونها منزلة حتى وإن كانت تحبه وترضاه لا تسلم من نظرات النقد والتعيير ؛ فتضيق بحياتها معه خاصة بعد انطفاء جذوة الحب، ومن ثم تبدأ مرحلة النفور منه، وعدم النزول على مقتضى قوامته وسلطانه، وقد يشعر الزوج بعقدة النقص فيستغل قوامته على المرأة استغلالاً سيئاً لإذلالها ؛ فتضطرب الحياة الزوجية، ويسودها الشقاق الذي يؤدي إلى التفكك.

وصدق الفاروق عمر ﷺ حين قال: لأمنعن تزوج ذوات الأحساب إلا من الأكفاء"(١)

وعدم التكافؤ بين الزوجين ينتج عنه اختلاف في الأنماط السلوكية فالملاحظ أن الأنماط

---

(١) سنن الدارقطني كتاب النكاح، باب المهر ٣/ ٢٩٨ ط.دار المعرفة - بيروت، ١٣٨٦ –١٩٦٦م.

السلوكية عند الزواج تكون قد استقرت بصورة معينة، ويصعب تغييرها بعد ذلك، ويلاحظ الباحثون في شؤون الأسرة " أن التوترات الزوجية بسبب الأنماط السلوكية المتعارضة عند الزوجين تصل إلى درجة خطيرة خاصة إذا تعلقت بمسائل كالأخلاق الاجتماعية، والنظافة وطرق تربية الأطفال، وطرق اتخاذ القرارات، ومعاملة الآخرين، ونحو ذلك، فالأفراد يختلفون في أنماطهم السلوكية وذلك تبعا لتجاربهم في أسرهم، فبعض الأسر –مثلا– يكون الأب فيها هو صاحب الكلمة النهائية، بينما في بعض الأسر الأخرى تكون الكلمة للأم، وهذا لا ينفي وجود نوع ثالث تكون الأسرة فيها قسمة مشتركة بين الأب والأم.

ويميل بعض الباحثين إلى القول أن الأنماط السلوكية للرجل والمرأة ترجع للخبرة الأولى في أسرة كل منهما، ويظهر هذا واضحا في العلاقات الزوجية خلال مرحلة الزواج "(١)

ولا شك أن اختلاف الأنماط السلوكية بين الزوجين يؤدي إلى كثير من المشكلات الأسرية خاصة إذا لم يتنازل أي منهما عن هذه الأنماط، وغالباً ما تودي هذه النوعية من المشكلات إلى انهيار الأسرة وتفككها.

٦- ضعف الإيمان لدى الزوجين

وهذا العامل كان يفترض أن يأتي في مقدمة العوامل جميعاً لأهميته، وعدم تنبه كثير من الباحثين الاجتماعيين والنفسيين له.ولكني آثرت تأخيره لكونه مشتركاً بين الأسباب التي تكون قبل الزواج، والأسباب التي تكون بعده.

" فإذا كان الإيمان ضعيفاً لدى الزوجين أو أحدهما، فالنتاج الوقوع السهل المتكرر في الخطايا والآثام التي تسبب مشكلات لا حصر لها داخل الأسرة، ويفقد ضعيف الإيمان حاجزاً وقائياً لا مثيل له في مواجهته لمشكلات الحياة المعاصرة، حيث يقوم الإيمان القوي المبني على التوحيد الخالص لله ﷻ وملازمة الطاعات على هدي رسول الله ﷺ بحفظ

(١) التفكك الأسري و أثره على انحراف الأطفال، جلال فاطمة الزهرة، مجلة العلوم الاجتماعية ٢٠١٢-٢٦-٠٦www.swmsa.net م بتصرف.

العبد، حفظاً له من عند الله- تعالى-، وتسديد خطاه نحو الخير والصواب في أمور دنياه وآخرته."(١)

قال ﷻ: { إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ[فصلت: ٣٠-٣١] وقال ﷺ " احفظ الله يحفظك.... الحديث "(٢)

وضعف الإيمان قد يكون في نفس الزوجين قبل الزواج، وربما يطرأ علي أحدهما أو عليهما بعد الزواج ؛ لأن الإيمان يزيد وينقص، والقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء – كما أخبر بذلك النبي ﷺ –(٣)، وإنما أضفته للأسباب التي تكون قبل بناء الأسرة؛ لأن الإيمان إذا كان في نفس الزوجين منذ نشأتهما، فإنه مهما يضعف فسيظل أثره باقياً، ويكون من السهل عليهما حل المشكلات التي تواجههما من خلال هذا الإيمان، ولا يسمحا لمرض التفكك الأسري أن يصيب حياتهما.

ومن ثم يجب على الأسرة التي تريد لأولادها أن ينجحوا في حياتهم، ويكوِّنوا أسرة متحابة ومترابطة في المستقبل أن تربي أولادها على طاعة الله ﷻ والاستقامة على أوامره والبعد عن نواهيه أولاً، حتى إذا تزوج هؤلاء الأولاد حفظ هذا الإيمان الذي نشئوا عليه أسرهم من الضياع والتفكك.

ثانياً: أسباب بعد تكوين الأسرة:

تبدأ الأسرة حياتها دائماً في جو من السعادة والهناء، ولكنها تتعرض في طريقها لكثير

(١) التفكك الأسري الأسباب والحلول ص ٢٨ مرجع سابق.

(٢) سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع باب ٥٩ ج ٤ ص ٦٦٧ وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بنص: «إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن، كقلب واحد، يصرفه حيث يشاء» ثم قال رسول الله ﷺ: «اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك» كتاب القدر، باب تصريف الله –تعالى– القلوب كيف شاء ج٤/ ٢٠٤٥.

من العقبات والمشكلات التي قد تؤدي إلى تفككها وانهيارها، وعندما نبحث عن الأسباب التي تقود الأسرة إلى هذا المصير السيئ نجد أن هناك عدة أسباب منها ما يأتي:

أ) اختفاء الأهداف والأفكار والسلوكيات المشتركة بين الزوجين

من الأمور الإيجابية التي تنشأ عن تكافؤ الزوج مع زوجته وجود قاسم كبير من الأهداف والأمنيات المشتركة بينهما بحيث يتفقان في معظم الأهداف الرئيسة في الحياة، ويسعيان معاً لتحقيق هذه الأهداف.

ومن الأمور السلبية التي توقع الخلاف والشقاق بين الزوجين الذي قد يؤدي إلى تفكك الأسرة، وانفصام عراها عدم وجود قدر كبير من الاتحاد والاتفاق بين الزوجين على النظرة المستقبلية والأهداف الأساسية في حياتهما، "وكذلك الاهتمامات المتبادلة بحيث تصبح النزاعات والأهداف الفردية أكثر أهمية، وأكثر إلفاتاً للنظر من الأهداف الأسرية، ويمكن أن نطلق عليها اسم تغليب المصلحة الشخصية على المصلحة الأسرية "(١)

وفي هذا الجو المشبع بالأنانية والتمحور حول الذات تتلاشى العلاقات الأسرية الطبيعية لتحل محلها الخلافات والنزاعات لتحقيق كل طرف رغباته وأحلامه الخاصة.

وهذا الاختلاف في الأهداف سيؤدي حتماً إلى اختلاف في الأفكار، ومن ثم إلى اختلاف في السلوكيات: " فكثير من الأزواج يختلفون في أفكارهم وسلوكهم، عن التصرفات التي تمارسها الزوجات مما يسبب الخلاف وتفاقم المشاكل بينهما كما إن بعض الأزواج والزوجات لهم أوضاع عصبية متوترة وحالات نفسية قلقة مما يتسبب في إحداث المشاكل والخلاف في الأسرة.

فالتباين الفكري والعاطفي يباعد بين طرفي العلاقة الزوجية، ويجعل لكلٍّ منهما توجهاته ونظرته الخاصة لمختلف الأمور، واختلاف التوجهات غالباً ما يؤدي إلى اختلاف المواقف، وربما دفع بأحد أطراف العلاقة إلى السعي للسيطرة وفرض الرأي على الطرف

---

(١) التفكك الأسري و أثره على انحراف الأطفال، جلال فاطمة الزهرة، مرجع سابق.

الآخر؛فيدخل الزوجين في سلسلة من الصراعات التي تزيد من شدة الخلاف، وتؤجج نار البغضاء والحقد."(١)

ب) صراع الأدوار داخل الأسرة وعدم حل المشكلات الأسرية بطريقة صحيحة

مما لا شك فيه أن الله ﷻ قد وزع المواهب والقدرات بين الرجل والمرأة ليكمل كل منهما الآخر، فإذا اجتمعا في بيت واحد حدث بينهما التكامل والانسجام من خلال أداء كل منهما مهمته، ولكن قد يحدث عكس ذلك من صراع كل منهما لتبوأ مكانة الآخر، والقيام بمهمته، وهو ما يسمى بصراع الأدوار

" ويقصد بصراع الأدوار التنافس بين الزوج والزوجة لأخذ كل منهما مكان الأخر، وإن كان من الزوجة أظهر وأوضح خصوصاً لدى كثير من الملتحقات بالعمل خارج المنزل، حيث تسعى بعض الزوجات العاملات إلى أن تكون هي ربان سفينة الأسرة، وهذا خلاف الفطرة التي قررها الله ﷻ في العلاقة الأسرية

قال ﷻ: { الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ }[النساء: ٣٤] .

وبترتب على هذا الصراع حدوث النزاعات المتكررة على كل كبيرة وصغيرة في الأسرة مما يمهد لحصول التفكك والانهيار، وتؤكد الدراسات النفسية الأثر السلبي لصراع الأدوار على استقرار الأسرة وقيامها بواجباتها نحو أفرادها بشكل صحيح وسليم "(٢)

" ومن الجدير بالذكر أن الخلافات الزوجية قد تؤدي إلى خلافات بين الأولاد، وأن الخلافات بين الأولاد قد تفضي إلى خلافات بين الزوجين. وقد تضطرب العلاقات بين الإخوة فيقسو الابن الأكبر على الأصغر، أو الأولاد على البنات، أو الإخوة غير الأشقاء على بعضهم بعضًا، فتصبح الأسرة مفككة غير متماسكة، تهددها الأزمات التي ينبغي تداركها، وإلا فسيحدث الشقاق الذي ينبغي إصلاحه، وإلا

---

(١) المشكلات الأسرية، الباحثة أميرة باهميم ص ٢٢ مرجع سابق.

(٢) التفكك الأسري الأسباب والحلول ص ٢٧ مرجع سابق.

فسيحدث الطلاق الذي يعصف بالحياة الأسرية برمتها."(١)

ومن مظاهر الصراع بين الزوجين حل المشكلات التي تتعرض لها الأسرة بطريقة غير سليمة كالشجار ورفع الصوت، والانفراد بأخذ القرار، ومحاولة إجبار الطرف الثاني على قبوله، أو حل المشكلة لصالحه على حساب الطرف الآخر، أو القسوة والضرب، والتهديد بالطلاق، ونحو ذلك.

ويدخل في هذا الشأن حل المشكلات بهذه الطرق الخاطئة أمام الأولاد، ومن ثم يشعرون بهوة الخلاف بين الأبوين مما يُحدِث لديهم انقساماً في الشخصية، أو محاولة استغلال هذا الخلاف في التقرب إلى طرف على حساب الطرف الآخر.

تقول د/ شادية التل: " لا شك أن حالات التراع والخصومة التي تجري على مرأى من الأبناء تترك بصماتها على شخصياتهم؛ فنجدهم يهربون من جو الأسرة المضطرب المشحون بالخوف والقلق والصراع، وعدم الاستقرار، باحثين عن بديل يتقبلهم، وينتمون إليه ويصبحون أعضاء فيه. وفي أغلب الأحوال يكون هذا البديل هم رفاق السوء الذين يعلمونهم العادات السيئة والسلوكيات المنحرفة، فيصبحون عناصر هدم بدلًا من أن يكونوا عناصر بناء ومصدر سعادة لأسرتهم ومجتمعهم.

كما أن تكرار التراع بين الوالدين على مرأى من الأبناء ينعكس على نموهم النفسي، وقد يكون سببًا في حالات التمرد والعصيان على الوالدين، أو على أحد الوالدين الذي يكون أشد ظلمًا أو أكثر قسوة من وجهة نظرهم، الأمر الذي يؤدي إلى إحداث شرخ بين الآباء والأبناء وشيوع الفوضى داخل الأسرة الواحدة، قد تنتهي بتفرق شمل الأسرة، وتشرد الأبناء وضياعهم، والشعور بالكراهية والحقد والرغبة في الانتقام من الوالدين والمجتمع بشكل عام."(٢)

والواقع المشاهد ينطق بهذا، وكثير من الجرائم التي يرتكبها بعض الأحداث والشباب

---

(١) التفكك الأسري دعوة للمراجعة، د/ شادية التل ص ٧ مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق ص ٦، ٧.

وراءها هذا السبب الكامن في نفوسهم، وسيأتي الحديث عن ذلك في مظاهر التفكك وآثاره –بمشيئة الله تعالى-

ج) عمل الزوجة وانشغال الزوج عن أسرته.

خلق الله- تعالى- الرجل والمرأة لأداء مهمة سامية في الحياة وهي: عبادة الله ﷻ، وعمارة الأرض والقيام بمهمة الاستخلاف فيها، وقد حمّل الله ﷻ كلاً من الرجل والمرأة مسئوليات كبيرة للوصول إلى هذا الهدف من هذه المسئوليات: المسئوليات الأسرية.

قال ﷺ: والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسئولة عنهم.»(١)

فالمسئولية الأولى للمرأة والتي خلقها الله ﷻ من أجلها، وفطرها عليها أن تكون أماً وزوجة تسعد زوجها، وتربي أولادها، وتصنع من بيتها جنة غناء تتفتح فيها زهور البنين والبنات، ولن تستطيع أن تقوم بذلك إلا وضعت بيتها وأسرتها في مقدمة أولوياتها في الحياة، وضحت في سبيل أمومتها وزوجها بكل شيء في الحياة.

إن مما أفقد الأسرة توازنها في هذه الأيام انشغال الأم عن هذه المسئولية الجسيمة، وخروجها لإثبات ذاتها وشخصيتها في العمل والحياة الاجتماعية والسياسية مما عرض كثيراً من الأسر للتفكك والضياع.

إن الإسلام لا يمنع عمل المرأة عندما تحتاج إليها بالضوابط التي حددها، لكن يبقى هذا العمل استثناء من العمل الأصلي لها، وهو كونها زوجة وأماً لكي يتحقق في الأسرة السكن الذي شرع الله ﷻ الزواج من أجله.

قال – تعالى-: " هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا...} [الأعراف: ١٨٩]

تقول د/ شادية التل: " يعد عمل المرأة تهديدًا لاستقرار بيت الزوجية لما قد يكتنفه

---

(١) صحيح مسلم كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل ج ٦، ص ٧ مرجع سابق.

من إهمال للزوج، ومن إثارة وسوء معاملة، وابتزاز من رب العمل، مما ينعكس سلبيًا على الاستقرار الزواجي. وقد يؤدي عمل المرأة أحيانًا إلى عدم الاستقرار الزواجي في ضوء ما يسببه دخل المرأة من كيان اقتصادي، يضفي على المرأة قوة يرفضها الزوج؛ فيسعى إلى منعها من العمل، والدخول في طاعته. ذلك أن الإسلام حدد الحقوق الشرعية للزوج على زوجته، ومنها: حق الطاعة والقرار في بيت الزوجية، مما يؤدي إلى الصراع بين الزوجين الذي قد ينتهي بالطلاق.

ومن جهة أخرى فإن عمل المرأة يضعف قوامة الرجل في النفقة فهي تكسب مالها بنفسها، وقد تعبر عن الاستغناء عن الزوج ماديًا، كما قد تعبر عن قدرتها على الإنفاق على أبنائها في حال طلاقها. وتشير الممارسات الواقعية إلى حدوث التراع بين الزوج والزوجة على راتبها الشهري عندما تعمل خارج المترل، فقد يستولي الزوج على كامل راتبها بحجة الإنفاق، وقد يطالبها بدفع أجرة البيت أو بدفع نصف راتبها إلى غير ذلك مما قد يفضي إلى التراع والشقاق الدائمين."(١)

والرجل كذلك تقع عليه مسئولية كبيرة نحو بيته وأسرته في رعاية زوجته وتربية أولاده، ولا تؤدى هذه المسئولية بالنفقة عليهم فقط – كما يظن بعض الرجال-، وإنما يجب عليه أن يكون حاضراً بينهم مقوماً لسلوكهم وأفكارهم يحرسهم بعطفه ويقومهم بشدته. والرجل إذا قصر في ذلك فإنه يعرض الأسرة كلها للضياع والتشتت، ويجعل الأبناء يبحثون عن راعي لهم خارج نطاق الأسرة من الأصدقاء أو الجيران، وقد يكون بعض هؤلاء من السيئين الذين يقودونهم إلى الهاوية.

" إن عدم فهم الزوج للقوامة التي منحه الله ﷻ إياها يجعله يعتقد أن له الحرية المطلقة في أن يفعل ما يشاء دون أن يراجعه أحد من أفراد أسرته، وهذا السلوك يرتد على الأسرة بالاضطراب، وفتور العلاقة الزوجية، وقد يصل الأمر إلى الشك الذي يدمر هذه العلاقة.

(١) التفكك الأسري دعوة للمراجعة، د/ شادية التل ص ١٤مرجع سابق.

التفكك الأسري وأثره على وحدة الوطن واستقراره

فقد يكون تقصير الرجل في القيام بواجباته، وغيابه كثيراً عن أهل بيته مندوحة للزوجة أن تثأر لنفسها من تصرفات الزوج وإهماله ؛ فتخرج كثيراً من بيتها، وتختلط بجاراتها وقريباتها في لقاءات قد تسهم في تدمير الأسرة، وزيادة مشكلاتها."(١)

د) غياب احد الزوجين أو كليهما بالموت أو السفر أو الهجر أو الطلاق.

إن الله ﷻ جعل الأسرة مؤسسة اجتماعية يؤدي كل فرد فيها دوره لكي تنهض هذه المؤسسة وتتقدم، فالزوج عليه دور رئيس في الأسرة وكذا الزوجة، وتخلي أحدهما عن دوره سواء باختياره في حالات السفر أو الهجر أو الطلاق أو السجن، أو بعدم اختياره كما في حالة الموت يعرض المؤسسة الأسرية لهزة عنيفة وزلزال كبير قد تخرج منه مدمرة ومفككة، وقد يزيدها قوة وصلابة، وذلك راجع إلى قوة إيمان أفراد الأسرة بالله ﷻ وثقتهم فيه، ومدى تماسك البناء الأسري من الداخل.

لكننا هنا نتحدث عن بعض الأسر التي تتعرض للتفكك نتيجة الغياب الاختياري من أحد الزوجين كسفر الزوج أو الزوجة أو هجرهما لبيت الزوجية أو انفصالهما بالطلاق، أو الغياب القسري نتيجة موت الزوج أو الزوجة أو كليهما.

" فقد تحول وفاة الأب أو الأم أو غيابهما عن البيت لفترة طويلة دون التنشئة السليمة للأولاد، وتبقى الأم (أو الأب أحياناً) هي المسئولة الأولى والأخيرة عن تربية الأبناء وتلبية احتياجاتهم، أي أنها مطالبة بأداء دور الأم ودور الأب الغائب. وقد تزيد هذه المسؤولية على طاقتها، فتفشل في أداء أحد الدورين أو كليهما، وعندها يدرك الوالدان أن نقود الأب الغائب أو الأم الغائبة لم تُجدِ في تحصين الأسرة من احتمالات الاضطراب أو الانهيار، ذلك أن الأبناء يحتاجون إلى عطف الأب وتوجيهه وحزمه ورقابته ويقظته بالقدر الذي يحتاجون فيه إلى عطف الأم ومحبتها ودفئها."(٢)

والطلاق – أيضاً- يعد من العوامل الرئيسة لانحراف الأبناء وتشردهم وضياعهم

(١) التفكك الأسري الأسباب والحلول المقترحة د/ أمينة الجابر وآخرون ص ٢٠ مرجع سابق.

(٢) التفكك الأسري دعوة للمراجعة، د/ شادية التل ص ١١ بتصرف مرجع سابق.

وتشتت أفراد الأسرة، فعندما يفتح الطفل عينيه على الحياة ولا يجد أمًا تحنو عليه ولا أبًا يرعاه، فإنه سيؤول إلى الضياع والتشرد، ولن يكون حال الآباء بأفضل من ذلك إذا ما تزوجت المطلقة من رجل آخر لن يقبل رعاية أبناء الزوج الأول، وكذا الزوج إذا تزوج ولم تقبل زوجتة برعاية أولاد الزوجة الأولى، هذا فضلاً عن تولد مشاعر القلق والخوف لدى الأمهات على مستقبلهن ومستقبل أبنائهن.

" ولما كان التماسك والاستقرار الأسري يقتضي وجود أسرة متكاملة متحابة متعاطفة، فإن انفصال الزوجين بالطلاق أو حتى بغياب أحدهما لفترة طويلة سيؤدي إلى الحرمان العاطفي للأبناء، والفشل في تكوين القيم الاجتماعية لديهم، وشعورهم بالقلق وعدم الثقة بالذات وبالآخرين. ويؤدي –كذلك– إلى التفكك الأسري الذي يظهر على هيئة مشاعر عميقة بالتهديد والخوف والمعاناة من الاضطرابات التي ترافق الطلاق، والصراع العاطفي لدى الأبناء بين حب الوالدين، وعدم قدرتهم على التحيز لطرف منهما دون الآخر، ووقوع الأبناء فريسة للانتقام، والإيذاء المتبادل بين الوالدين، مما ينعكس سلبًا على شخصياتهم المستقبلية أزواجًا وآباء، وعلى نظرتهم إلى ذواتهم والآخرين والمجتمع الإنساني بعامة.(١)

٥) المشكلات المادية

وهذه المشكلات تأتي من عدة نواحي منها: انخفاض دخل الأسرة بحيث لا تستطيع تلبية احتياجات أفرادها – الفارق المادي بين الزوجين بحيث تكون الزوجة أشد ثراء من زوجها –. بخل الزوج وعدم انفاقه على أسرته – إساءة الزوج التصرف في ماله الكثير – راتب الزوجة وارتفاعه عن راتب الزوج – عدم تحديد المسئول عن التصرف في ميزانية الأسرة.

من خلال هذه النواحي وغيرها تحدث أغلب المشكلات المادية داخل الأسرة، فمثلاً "

(١) التفكك الأسري دعوة للمراجعة، د/ شادية التل ص ١٨ بتصرف.

يعد الفقر والبطالة في كثير من المجتمعات مسئولان عن كثير من الأزمات الأسرية، إذ يؤديان إلى عدم إشباع الحاجات الفسيولوجية لأفراد الأسرة، وقد يدفعان الأب إلى ممارسة بعض أشكال الانحرافات السلوكية كالإدمان على الكحول أو المخدرات، هروبًا من مواجهة المسئولية، أو كاللجوء إلى مزاولة أعمال يحرمها القانون ويزج بصاحبها في السجون، كالسرقة أو الاتجار بالمخدرات وغيرها. وقد يؤدي الفقر إلى تشرد الأبناء أو مزاولتهم التسول في ضوء الحاجة المادية أو العمل في سن مبكرة في أماكن خطرة، كالبيع بين السيارات وعند الإشارات الضوئية، أو في المدن الصناعية التي قد تستغل حداثة سنهم فيقعون في فخ الانحراف الاجتماعي هذا فضلاً عن حرمانهم من فرصة التعليم، وقد تجد الأم نفسها مضطرة إلى التسول أو إلى العمل خارج المترل، ويبقى الأبناء عرضة للضياع دون مربٍ أو موجهٍ، وقد يؤدي عملها إلى نشوء الشقاق والتراع مع الزوج.

ومع الفقر والبطالة تضطر الأسرة إلى العيش في المناطق المكتظة وفي مساكن غير صحية، تسبب الأمراض وتضاعف احتياجات الأسرة، مما يؤدي إلى نشوء التوتر والتراع بين أفراد الأسرة وبخاصة بين الكبار والصغار. ولعل ضيق المسكن يكون سببًا في ضعف رقابة الوالدين على أبنائهم، إذ قد تضطر الأم إلى دفع أبنائها إلى الشارع حتى ترتاح من إزعاجهم، مما يفضي إلى تعلمهم السلوكيات المنحرفة جراء خروجهم دون رقابة.

ولعل من أبرز المظاهر السلبية للفقر والبطالة وعجز الأب عن الإنفاق على الأسرة، تدني مكانة الأب وضعف سيطرته على زوجته، وبالتالي فقدان السيطرة على أفراد الأسرة عمومًا، ويصبح عجز الزوج عن الإنفاق سببًا في أشكال التوتر داخل الأسرة. وتحمل الزوجة زوجها مسؤولية فشله في المساهمة في الإنفاق على الأسرة، مما يصعد حدة الخلافات، وينعكس ذلك بصورة مباشرة على عدم الاستقرار الزواجي الذي قد ينتهي

بالطلاق."(١)

" وخطورة الفقر لا تكمن في تأثيراته السيئة على الأسرة، وعلى قدرتها على إشباع احتياجاتها الأساسية والضرورية فحسب، ولكن تأثيره السيئ يمتد إلى شعور الأبناء بالحرمان وإحساسهم بالدونية، وفقدهم للثقة في أنفسهم، وبهذا يؤدي الفقر إلى العديد من المشكلات الاجتماعية والنفسية والأخلاقية للأسرة، وفي مقدمة هذه المشكلات التفكك وعدم الاستقرار. "(٢)

و) إدمان المخدرات والكحوليات والمفترات.

في هذا المطلب أتحدث عن دور المخدرات كسبب من الأسباب الرئيسة للتفكك عندما يدمنها الزوج – غالباً، أو الزوجة أحياناً قليلة، أو كلاهما وأتحدث في المطلب التالي عن إدمان الأطفال والشباب للمخدرات كمظهر من مظاهر التفكك الأسري ؛ لأن المدمن لا يراعي حرمة لأسرة، ولا ينتظر منه رعايتها ولا المحافظة عليها، ومن ثم تراه دائماً مهملاً لها، وسبباً لكثير من مشكلاتها، يعتدي على زوجته وأولاده، ويحرمهم من ماله لينفقه على السموم التي يتناولها.

تقول د / شادية التل: " يعد الإدمان على المخدرات أو الكحول مشكلة تهز بناء الأسرة بأكملها، ولا يقتصر أثرها على المدمن فحسب. وتشير الإحصائيات إلى أن نسبة التفكك الأسري في أسر المدمنين تزيد على سبعة أضعافها في أسر غير المدمنين. فكما هو معلوم، فإن المدمن يفقد القدرة على القيام بأعباء الأسرة، وأعباء العمل جراء تدهوره صحيًا واجتماعيًا واقتصاديًا، فيفقد العمل والأصدقاء والصحة والأسرة، ويصبح عبئًا على الأسرة وعامل هدم لبنائها."(٣)

وكذلك إدمان الأبناء للمخدرات قد يدفع الأب إلى ترك أسرته والتخلي عنها،

---

(١) المرجع السابق ص ٣٧.

(٢) التفكك الأسري الأسباب والحلول المقترحة د/ أمينة الجابر وآخرون ص ٢٢ مرجع سابق.

(٣) التفكك الأسري دعوة للمراجعة، د/ شادية التل ص ٨ مرجع سابق.

التفكك الأسري وأثره على وحدة الوطن واستقراره

وتحميل الأم وحدها مسئولية ما حدث، وقد تفعل الأم – في مرات قليلة- نفس الشيء، وبدل أن يحاول الوالدان علاج مشكلة تعاطي أحد أولادهما للمخدرات تكون هذه المشكلة هي سبب انفصال الزوجين وهدم الأسرة، ويزداد الأولاد ضياعاً على ضياعهم.

ز) وجود الخدم والمربيات داخل الأسرة.

لا يختلف أحد على أن الخدم والمربيات أصبحوا ظاهرة ملموسة داخل الكثير من الأسر العربية خاصة في بلاد الخليج والأسر الموسرة في البلاد العربية الأخرى، "ولسنا هنا بصدد طرح قضية دور وأهمية هؤلاء من عدمه،فما يهمنا هو ما يمكن أن تخلفه هذه الظاهرة من آثار سلبية ومشكلات على الأسرة المسلمة في ظل امتداد دور الخادمة من عاملة مترل إلى ما يشبه ربة البيت المنابة بشؤون المترل كافة، والأم البديلة في التربية والرعاية وما يمكن أن يشكله ذلك من خطر يهدد التنشئة الأسرية، وفي ظل ائتمان السائق على أطفال الأسرة ومحارمها.

فإذا ما سلمنا بأن الكثير من الأسر تحرص على الاستعانة بخادمات وسائقين مسلمين،فإنه يظل هناك عامل آخر مؤثر على تنشئة الأبناء وهو جهل الأسرة بالخلفية الاجتماعية والثقافية للخادمة والسائق إضافة لجهل هؤلاء بخصوصية ثقافة مجتمع الأسرة."(١)

ولنلتفت لهذه الدراسة التي أجرتها وزارة العمل والشئون الاجتماعية بدولة البحرين حول المربيات الأجنبيات، والتي جاءت نتائجها على النحو التالي: " ١ – بلغ عدد المربيات الأجنبيات أكثر من خمسة آلاف مربية في البحرين، يضاف إلى ذلك أن رخص العمل لهن زادت بين عامي ١٩٨١م – ١٩٨٢م (١٤٥٣) رخصة.

٢ – المربيات غير العربيات نلن المقام الأول في الدراسة، ولاسيما السيلانيات، حيث بلغت نسبتهن ٨٨ % مما له الأثـر الأكبر على لغة الطفل.

---

(١) المشكلات الأسرية، الباحثة / أميرة باهميم ص ٢٧ مرجع سابق.

٣ – كانت الديانة الإسلامية في آخـــر قائمة المعتقدات الدينية للمربيات، مرتبة كالتالي: المسيحية، ثم البوذية، فالهندوسية، وأخيرًا الديانة الإسلامية!

٤ – تبين أن متوسط عمر المربية (٢٨ عامًا)، وأن (٦٨,٢ %) من عدد المربيات تقل أعمارهن عن (٣٠ عامًا) بينهن مراهقات أعمارهن أقل من (٢٠ عامًا) كما أنه ليس لديهن خبرات عن تربية الأطفال.

٥ – الفترة التي تقضيها المربية في الأسرة حدود سنة ونصف، وهي كفيلة بزلزلة تنشئة الطفل، حيث ينتقل بعدها إلى مربية أخرى.

٦ – تبين أن مجتمعات المربيات اللاتي قدمن منها تحبذ ممارسة العلاقات العاطفية والجنسية قبل الزواج.

٧ – تبين من الدراسة أن سبب العلاقة الطيبة والقوية بين الطفل والمربية يعود إلى تلبية المربية لاستجابات الطفل، وعدم اتباعها التربية والتنشئة الصحيحة.

٨ – كشفت الدراسة أن الصلة الحميمة بين الطفل والمربية قللت من إيجابيات الطفل نحو أبويه، حيث أن ذلك يضعف من صلاته وتفاعله معهما.

٩ – تسببت المربيات لـــ (٦,٩ %) من الأسر بمشكلات أخلاقية "(١)

من خلال هذه الدراسة يتبين لنا حجم الخطر الذي يهدد الأسرة من جراء الاستكثار من الخدم، وجلبهم إلى البيوت
المسلمة من غير ضرورة، وعدم اختيارهم الاختيار السليم المبني على معتقدهم وأخلاقهم، وعدم مراقبتهم، وترك الأولاد الصغار معهم فترات طويلة.

فهذه الدراسة صيحة نذير تدق أبواب العائلات المسلمة التي تلقي بأعباء تربية الأولاد على الخادمات، لعلهم يدركون أولادهم قبل فوات الأوان!!

(١) الأمومة ومكانتها في ضوء الكتاب والسنة. د/ مها الأبرش ج٢ ص٩١٤،٩١٥ ط. جامعة أم القرى سنة ١٩٩٦م.

ح) التدخل السلبي من الأقارب والأصدقاء والجيران في حياة الأسرة.

يعد التدخل السلبي في حياة الأسرة من جانب أقارب الزوجين، أو أصدقائهما، أو جيرانهما أحد العوامل المهمة التي قد تؤدي إلى زيادة المشكلات الأسرية وتفاقمها، وهو التدخل الذي يكون بلا داعي، أو بغير نية الإصلاح بين الزوجين، أو ما يكون في صالح أحد الزوجين على حساب الطرف الآخر مما يشعل نار المشكلة ولا يطفئها، ويؤدي بالأسرة في النهاية إلى الانهيار. فكم من البيوت التي انهارت بسبب تدخل الحموات في شئونها، أو تطفل أحد من الجيران والجارات عليها، أو شكوى من أحد الزوجين لصديق غير مخلص جاءت بنصيحة سوداء قلبت حياة الأسرة جحيماً.

لذا من الأفضل للزوجين أن يعالجا مشكلاتهما بأنفسهما دون اللجوء إلى أحد من خارج البيت إلا في أضيق الحدود حين يعجزا عن الحل، وعليهما أن يحسنا اختيار من يستعينا به في هذه الحالة، وعلى من يتدخل بينهما أن تكون نيته الإصلاح ورأب الصدع لا إشعال الفتنة وإفساد الأسرة كما أمر الله ﷻ بذلك في كتابه حين قال:

{ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُواْ حَكَماً مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحاً يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً خَبِيراً } [النساء: ٣٥]

يقول ابن عاشور –رحمه الله-: " فواجبُ الحكمين أن ينظرا في أمر الزوجين نظراً منبعثاً عن نية الإصلاح، فإن تيسّر الإصلاح فذلك وإلاّ صارا إلى التفريق، وقد وعدهما الله ﷻ بأن يوفّق بينهما إذا نويا الإصلاح، ومعنى التوفيق بينهما إرشادهما إلى مصادفة الحقّ والواقع، فإنّ الاتّفاق أطمَن لهما في حكمهما بخلاف الاختلاف."(١)، وحينئذٍ يكون التدخل تدخلاً إيجابياً.

ط) وسائل الاتصال الحديثة

لا شك أن وسائل الاتصال الحديثة لها إيجابياتها المتعددة التي يشعر بها العقلاء من

(١) التحرير والتنوير ـ ٥/ ٤٧، ط دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس – ١٩٩٧ م

البشر، ولكنها في نفس الوقت تحمل سلبيات خطيرة لا ينجو منها إلا القليل من الناس، ومن هذه السلبيات: تأثيرها السيئ على العلاقات الأسرية بين الأزواج بعضهم مع بعض، وبين الآباء والأبناء، والسبب الرئيس في ذلك الإفراط في الجلوس أمامهما، والتعلق بها على حساب الواجبات الأسرية والاتصال مع أفراد الأسرة، ناهيك عما تقدمه كثير من هذه الوسائل من أفكار ضارة ودعوات سافرة للخروج عن الدين والخلق الحسن والعرف الحميد.

ففي دراسة بعنوان "الفضائيات وتأثيرها على نسق العلاقات الأسرية" أكد الدكتور / سعيد أمين – الأستاذ بجامعة عين شمس أن الفضائيات تلعب دورًا في تحديد حجم وشكل الأسرة من ناحية، وتوزيع السلطة بداخل الأسرة من ناحية أخرى، ووجود خلافات مستمرة بين تلك الأطراف من ناحية ثالثة. وكشفت نتائج الدراسة عن ظهور عدد من الظواهر الناتجة عن تأثير الفضائيات على نسق العلاقات الأسرية منها: وجود خلافات مستمرة بين الزوجين والأبناء بنسبة نسبة ٧٩%، بينما ١١% يرون أن الفضائيات سببت تفككًا أسريًا لهم، وترى نسبة ٨% ظهور خلافات ومشاكل مستمرة بين الزوجين والأبناء بسببها."(١)

" إن البث الإعلامي الغربي وبخاصة القنوات الفضائية وشبكة الانترنت تهتم بالأسرة المسلمة، وبخاصة المرأة لأن في إفسادها إفساداً لكل أفراد الأسرة، ومن ثم فهذه القنوات تعد خطراً مدمراً للأسرة المسلمة التي تعتبر من أواخر الحصون الإسلامية التي لم تسقط بعد سواء على المستوى الثقافي أو الاجتماعي أو القانوني. لذلك لا يقدم البث الإعلامي الغربي إلا كل ما يؤدي إلى إغراق الأسرة المسلمة في الفلسفات والممارسات التي تردت فيها الأسرة في الحضارة والثقافة الغربية حتى يتم إحكام السيطرة على هذا الحصن الأخير"(٢)

" والانترنت أو شبكة المعلومات الدولية أحدث وسائل الاتصال التي دخلت على

(١) news.fatakat.com/tags/ جامعة-عين-شمس الثلاثاء ٢٧ مارس ، ٢٠١٢م

(٢) التفكك الأسري الأسباب والحلول المقترحة د/ أمينة الجابر وآخرون ص ٢١ مرجع سابق

الأسرة في الفترة الأخيرة، وإن كان لها إيجابيات عديدة إلا أن سلبياتها طغت على إيجابيتها من خلال ظهور ما يعرف بإدمان الانترنت حيث يقضي كثير من أفراد الأسرة معظم أوقاتهم في متابعة الانترنت ومواقع التواصل الاجتماعي(الفي سبوك- التويتر ونحوهما). وقد قام عدد من الباحثين الأمريكيين بدراسات على مستخدمي الانترنت كان من ابرز نتائجها: تناقص التواصل الأسري بين أفراد الأسرة، تضاؤل شعور الفرد بالمساندة الاجتماعية من جانب المقربين له، تناقص المؤشرات الدالة على التوافق النفسي والصحة النفسية، وهذه نتائج يتوقع أن ينتج عنها خلافات وتفكك داخل الأسر التي تعاني من إدمان بعض أفرادها للإنترنت "(١).

هذه بعض الأسباب التي تؤدي إلى هذا المرض الخطير الذي يصيب الأسرة فيودي باستقرارها وتماسكها، وأعود واذكر بما نبهت عليه في مطلع هذا المطلب، وهو أن هذه الأسباب ليست حتمية في الوصول إلى التفكك الأسري. بل قد يكون بعضها عند بعض الأسر دافعاً أكثر للتماسك والاستقرار، لذا دائما يبدأ الباحثون حول أسباب التفكك الأسري كلامهم بقولهم: قد يؤدي – أحياناً – ربما –، ونحو ذلك من الكلمات التي توحي بأن الحتمية الموجودة في المعادلات الرياضية والهندسية لا يمكن أن تتحقق في العلوم الاجتماعية والإنسانية.

ومع هذا التنبيه توجد معادلة اجتماعية وإنسانية حتمية على مستوى ظاهرة التفكك الأسري لا تتبدل ولا تتغير، وهي أنه كلما اشتدت وانتشرت ظاهرة التفكك الأسري في الوطن كلما أثرت تأثيراً سلبياً على وحدة الوطن وأمنه واستقراره، وهذا يتضح أكثر بالحديث عن آثار التفكك الأسري على المحافظة على وحدة الوطن واستقراره في المبحث القادم – بمشيئة الله تعالى –.

(١) التفكك الأسري الأسباب والحلول المقترحة د/ أمينة الجابر وآخرون ص ٢٧ بتصرف.

المطلب الثاني: مظاهر التفكك الأسري

بعد أن تحدثت عن أسباب انتشار ظاهرة التفكك الأسري، يجدر بنا أن نحدد بعض مظاهر تلك الظاهرة في المجتمع، والتي من خلالها نستطيع الحكم على هذه الأسرة بأنها أسرة مفككة أو غير مفككة، ونحن هنا نستعرض المظاهر ولا نتكلم عن أسبابها الخاصة، وإن كان ثمة تداخل بين الأسباب والمظاهر في بعض الأحيان نتيجة صعوبة الفصل في العلاقات الاجتماعية بين الأشياء كما هو الحال في العلاقات المادية، فالطلاق – على سبيل المثال- يعتبر وجوده مظهراً من مظاهر التفكك الأسري كما أنه يعد سبباً من أسبابه حين يساء استعماله، ويصبح سيفاً مصلتاً على رقبة الأسرة، ومن ثم فإن بعض ما أذكره من مظاهر التفكك ربما يكون قد تم ذكره ضمن أسبابه مع اختلاف في التناول، وذلك على النحو الآتي:

١– ضعف الروابط الأسرية وتوتر العلاقات بين أفرادها.

لم تعد الروابط الأسرية وثيقة ومتينة بين أفرادها، ولاسيما بين الزوجين كما حددها الإسلام في قول الله ﷻ: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً} [الروم: ٢١]

وهكذا تحول المترل من مقر للسكينة والاستقرار إلى مكان لأشكال التراع والشقاق والصراع مع الأسف الشديد.

"وخاصة عندما تصاب العلاقات الأسرية بقدر ملحوظ ومستمر من الفتور والاختلاف في التوجهات،والفقر العاطفي،مع عدم قدرة كل طرف على تلبية احتياجات الطرف الآخر،والقيام بما عليه من واجبات، يستمر في ضوئه البنيان الأسري قائماً في جو من الفتور العاطفي وضعف التواصل"(١)، ومن ثم يصبح الجو الأسري فيما بين الزوجين وبين الأبناء مشحوناً بالتوتر والاضطراب، ونشوب أشكال التراع والشقاق، وانعدام

---

(١) المشكلات الأسرية بعض الأسباب والمعالجة، الباحثة / أميرة أحمد عبيد باهميم ص ٦/٥ بدون المطبعة ولا تاريخ الطبع.

التواصل والتفاهم والتعاون.

وهكذا انحدرت العلاقات الأسرية في عصرنا الحاضر إلى درجة بالغة السوء والتدني، ومن مظاهر هذا الانحدار: كثرة حوادث اعتداء الأزواج على زوجاتهم، ومن ذلك على سبيل المثال ما يحدث في الكويت " فوفقا لإحصائيات وزارة العدل فإن ٦٥% من حالات الطلاق في الكويت سببها اعتداء الأزواج على زوجاتهم بالضرب، في حين ذكرت مصادر مطلعة لـــ سيدتي في وزارة الداخلية الكويتية، أن مخافر (أقسام الشرطة) المحافظات "الست" في الكويت، تستقبل على الأقل ثلاث حالات اعتداء أزواج على زوجاتهم يومياً."(١)

ومن مظاهر هذا التوتر في العلاقات الأسرية عدم وجود تفاهم وتناغم بين الآباء والأبناء في كثير من الأسر نتيجة التغيرات الثقافية التي تحدث على المجتمع بين فترة وأخرى " إذ يبحث الشباب في مرحلتهم العمرية عن قيم جديدة ومواقف حديثة من أجل تحقيق أهدافهم الجديدة آخذين بعين الاعتبار وضعهم الذي يعيشون فيه، وسبل عيشهم المستقبلي، ويرفضون بإصرار القيم التي يحاول الوالدان غرسها فيهم فلا يخضعون للأعراف والقوانين القديمة الخاصة بسلوك الشباب ؛ لأنهم يريدون أن يظهروا بأبهى وأفضل صورة، وهذه هي بداية التوتر الذي يقع بينهم وبين والديهم، وفي نفس الوقت يقوم هذا التوتر بتعزيز رباطهم بأصدقائهم من نفس الشريحة العمرية أكثر من والديهم ؛ لأن هذا الرباط الشبابي يقدم لهم دعماً لأفكارهم وطموحاتهم."(٢)

ويتحمل هذا التوتر كلٌ من الطرفين الآباء والأبناء على تفصيل لسنا بصدده هنا، وإنما يدل هذا الاختلاف والتوتر في العلاقة بين الآباء والأبناء على وجود تفكك أسري بدرجة .

---

(١) www.sayidaty.net/. سيدتي نت ١٢ September ٢٠١٢.

(٢) أثر التفكك الأسري على جنوح طلاب المدارس الثانوية (دراسة سببية مقارنة على طلاب المدارس الثانوية للبنين بشرق الرياض، صالح حسين العقيدي،ص ٤٦ وما بعدها، رسالة ماجستير بجامعة نايف للعلوم الأمنية – كلية الدراسات العليا – قسم العلوم الاجتماعية – الرياض ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.

معينة على حسب قوة هذا التوتر وضعفه.

كما أصبحت العلاقات فيما بين الأخوة والأخوات الذين ينحدرون من أسرة واحدة ومن أب واحد وأم واحدة تتميز بالفتور وانعدام الحوار والتفاهم، بل وتصل أحياناً إلى الصراع والتراع والتقاتل عوض المودة والترابط والتساكن التي أمرنا بها الشرع الإسلامي الحنيف.

٢- تحلل القيم الأخلاقية داخل الأسرة

فقد غابت عن كثير من الأسر القيم التي تضمن الاستقرار والهدوء والتماسك الأسري مثل قيم الاحترام بين الزوجين، وطاعة الأبناء للآباء، والزوجة لزوجها ، حيث لم يعد بعض الأبناء يوقرون آباءهم ويحترمونهم، وهذا يتنافى مع القيم والمثل الخلقية والتربوية لديننا الحنيف، ومخالفة لأوامر الله ﷻ في القرآن الكريم، وسنة النبي ﷺ.

قال – تعالى-: {إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا. وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً} [الإسراء: ٢٣، ٢٤].

عن أبي هريرة ﷺ قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله: من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال (أمك). قال ثم من؟ قال (ثم أمك). قال ثم من؟ قال (ثم أمك). قال ثم من؟ قال (ثم أبوك)(١).

ومن القيم التي غابت – أيضاً- عن الأسرة صلة الرحم، وحق الزيارة والمودة بين الأقارب بعضهم مع بعض بفعل عوامل عدة، وهذا ما ينذر بعواقب وخيمة وسخط الله وغضبه ومقته في الدنيا والآخرة.

قال الله – تعالى -: {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ. أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ} [محمد: ٢٢، ٢٣].

(١) صحيح الإمام البخاري كتاب الأدب باب من أحق الناس بحسن الصحبة ٥/ ٢٢٢٧ صحيح مسلم كتاب البر والصلة والآداب باب بر الوالدين وأنهما أحق به رقم ٢٥٤٨

وهذه القيم تنشأ لدى الزوجين أولاً من خلال تعاملهما مع بعض، ومن خلال تعاملهما مع أسرهما، ثم تنتقل منهم للأبناء بفعل التربية والقدوة والتقليد، لذا الأسر التي تغيب عنها القيم الخلقية والتربوية تخرج أزواجاً وزوجات لا يعلمون عن هذه القيم شيئاً، وهكذا يُتوارث التفكك الأسري جيلاً بعد جيل.

٣- كثرة حوادث الطلاق والخلع والهجر.

من أوضح المظاهر الدالة على التفكك الأسري كثرة حوادث الطلاق مما تعج بها المحاكم، وغير المحاكم مما يجعل الطلاق ظاهرة كبيرة في المجتمعات العربية والإسلامية، "فقد فضحت تقارير أجهزة الإحصاء في الدول العربية استقرار الأسرة العربية بعد أن أكدت أن الأسرة العربية في خطر مع تزايد حالات الطلاق خلال عام ٢٠٠٢م و٢٠٠٣م.... ففي مصر ذكرت تقارير جهاز التعبئة والإحصاء أنه تم خلال العام الماضي ٧٠ ألف طلاق أكثر من نصف حالات الطلاق زيجات لم يمر عليها ١٠سنوات. وفي الكويت ذكر تقرير إحصائي أن حالتي طلاق تتم بين كل ثلاث حالات زواج، وفي قطر كانت هناك أكثر من ٤ .آلاف حالة طلاق و١٥٩ حالة خلع، مع العلم أن حالات الزواج لم تتعدَ ١٠ آلاف حالة، وفي المغرب زادت نسبة حالات الطلاق عن العام الماضي، ومع انتشار ظاهرة الطلاق بدأ الفساد يتسلل إلى نسيج الأسرة العربية."(١)

والطلاق يعد أوضح الظواهر الدالة على التفكك الأسري ؛ لأنه يمثل المرحلة النهائية للأسرة، كما أنه يعد سبباً رئيساً من أسبابه حين يساء استعماله من قبل الزوج المتهور الذي يعرض اسرته للانهيار عند حدوث أقل مشكلة، أو لدى الزوجة المتهورة التي تطلب الطلاق وتصر عليه عند حدوث أتفه المشاكل.

أما الخلع(٢) فقد أصبح يمثل نوعاً من أنواع الفراق الزوجي المنتشر في أيامنا هذه فقد

(١)www.arabiyat.mobi/?page=٥٣ مجلة عربيات الدولية في ١٧/ ٢/ ٢٠٠٤م

(٢) الخلع هو هو فُرقة بين الزوجين بعوض بلفظ طلاق أو خلع (الفقه الإسلامي وأدلته د/ وهبه الزحيلي ٩/ ٤٥٣ ط/ دار الفكر، دمشق، ط الرابعة)

وصلت نسبة قضايا الخلع "بالرول" الخاص لمحاكم الأسرة حوالي ٧٠% من حجم قضايا الطلاق في بعض الأحيان بمصر، وهذا بسبب رغبة الزوجة في الخلاص وإنهاء الزواج دون الدخول في متاهات وتفاصيل النفقات والمتعة وغيرها.(١)

وأما هجر الأزواج لأسرهم وفرارهم بعيداً عنهم تاركيهم للضياع والتحطم وانعدام الأمل فقد غدا – أيضاً- ظاهرة اجتماعية خطيرة، فكل يوم تطالعنا الصحف باستغاثات من أطفال وزوجات يناشدون رب الأسرة العودة ؛ لأنه خرج ولم يَعُد، ولا يعرف أحد مكانه.

" والدليل على ذلك توالي نشر إعلانات الطلاق الغيابية، والهجر ليس بظاهرة حديثة، ولكن انتشاره بهذا الشكل المخيف يُعَدّ أمرًا دخيلا على ثقافتنا العربية، فالتاريخ يتذكر كنيسة "برولان" بفرنسا التي بنتها عام ١٤٨٣م سيدة هجرها زوجها، ومكثت تصلي بها إلى أن عاد زوجها، ومنذ ذلك الحين وتتوالى عليها السيدات للدعاء فيها من أجل عودة الأزواج الهاربين، ورغم تزايد حالات الهجر فإنها تقابل بتجاهل تام في جميع البلدان العربية، فنجد أن هناك مساعدات اجتماعية تصرف للأرامل والمطلقات وأخيرًا للعوانس، أما المهجورات فهن في طي النسيان."(٢)

٤ – ظاهرة أطفال الشوارع

من أكبر الأدلة على وجود أسر مفككة في المجتمع ظاهرة أطفال الشوارع، وازديادهم يوماً بعد آخر نتيجة تحطم كثير من الأسرة، وعدم وجود رعاية لهم لدى أي طرف من أطرافها.

" وقد أثبتت الإحصاءات العالمية أن هناك من ١٠٠ – ١٣٠ مليون طفل يهيمون في الشوارع في العالم، وقدرت منظمة child hope الدولية وجود ما يزيد على ١٠٠ مليون طفل شارع في العالم عام ١٩٩١م. وفي إحصائية صدرت عن المجلس العربي للطفولة

(١) صحيفة اليوم السابع بتاريخ ٨/٣/٢٠١٢م

(٢)http://www.hawaa.com/٢٠١١/٠٧/٢٧

والتنمية عن حجم هذه الظاهرة في العالم العربي بينت أن عددهم يتراوح ما بين ٧-١٠ ملايين طفل عربي في الشارع.وتوضح كثير من المؤشرات والدلائل أن الظاهرة آخذة في الازدياد والتفاقم، وبالاستناد إلى إحصاءات تقديرية أجرتها عدد من الدول العربية التي اعترفت بوجود الظاهرة يعيش في المغرب ٢٣٤ ألف طفل شارع، وفي مصر نحو ٩٣ ألف، وفي السودان ٣٧ ألف، وفي اليمن ٧ آلاف، وفي لبنان نحو ٣٥٠٠ "(١).

" وفي دراسته عن هذه الظاهرة يؤكد د. محمد سيد فهمي أستاذ الاجتماع أن هؤلاء الأطفال يصنفون تحت ثلاثة أنماط من العلاقات الأسرية وهي: أطفال لهم علاقة بأسرهم ويعودون إليهم للمبيت يوميا، وأطفال اتصالهم ضعيف بأسرهم يذهبون إليهم كل حين، وأطفال ليست لهم علاقة بأسرهم إما لفقدانهم بالموت أو الطلاق أو لهجر أسرهم. واتفقت جميع الدراسات والأبحاث علي أن العامل الاقتصادي والتفكك الأسري هما أهم العوامل التي أدت إلى نشأة تلك الظاهرة وتفاقمها بالإضافة إلى التسرب من التعليم، ومهنة الوالدين."(٢)

" وتذكر بعض الدراسات أن حوالي (٧٣%) من الأطفال الجانحين يقضون يومهم في الشوارع، وأن حوالي (٨٧%) منهم يتأخرون في العودة إلى المترل ليلاً، وأن حوالي (٥٨%) منهم يمضي الليل خارج المترل ولعدة أيام، دون إبلاغ الوالدين. ولدى مقابلة الوالدين تبين أنهم لا يعرفون شيئًا عن سلوكيات أبنائهم، أو أنهم يعرفون ولا يريدون التشهير."(٣)

فأي أسرة يوجد بين أولادها طفل يهرب من جحيم البيت ليرتمي في أحضان أصدقاء السوء في الشارع هي بلا شك أسرة مفككة، لم تستطع أن توفر لهذا الابن جو الحنان

(١) اطفال الشوارع في الجزائر – دراسة سوسيولوجية نفسية لظاهرة أطفال الشوارع وسبل مواجهتها/ بو زيان راضية، ص ١، ط معهد علم الاجتماع بالجزائر.

(٢) www.islammemo.com مفكرة الإسلام Tuesday ١٩ December ٢٠٠٦..

(٣) التفكك الأسري دعوة للمراجعة، د/ شادية التل ص ١١ مرجع سابق.

والمودة والسكن.

وأي أسرة تسمح لبنت من بناتها أن تبيت خارج البيت عند صديقاتها أو جارتها دون أن تسأل عنها، وتراقبها وتحميها هي أسرة مفككة وضائعة ؛ لأنها رضيت بأن يتعرض شرفها للامتهان وكرامتها وعزتها للمهانة دون أن يتحرك لها ساكن، وهذا دليل على أن أفراد هذه الأسرة لم يعد يفكر أحد منهم إلا في نفسه ومصلحته فقط.

٥- انتشار المخدرات والمفترات بين الشباب والأطفال:

انتشرت المخدرات والمفترات بين قطاع كبير من الشباب، ووصل الأمر إلى الأطفال، وهذا كله نتيجة غياب الرقابة الأسرية، وعدم قيام الأسرة بدورها في تحصين الشباب وتوعيتهم بخطورة هذه المواد المهلكة.

فقد كشف رئيس برنامج علاج الإدمان في مجمع الأمل للصحة النفسية بالسعودية- الدكتور عبد السلام الشمراني- لـ"صحيفة الشرق" أن مشكلة الإدمان على المخدارت في تصاعد، خاصة بعد زيادة الحالات المكتشفة بين الفئات العمرية، التي تتراوح أعمارها بين ١٢ إلى ١٥ عاماً، فيما كانت محصورة بين ١٨ إلى ٢٥ عاماً، مبيناً وجود علاقة طردية بين الإدمان على المخدرات، وبين التسرب وعدم الانضباط في المدارس.(١)

والأرقام الصادرة عن جهة حكومية بجمهورية مصر العربية -وهي مجلس الشورى- تكشف عن انخفاض ملحوظ في سن التعاطي في مرحلتي الطفولة والمراهقة حيث تدنت سن بدء التعاطي١١ عاما وسن بدء التدخين٩ سنوات بينما كان قبل ذلك يتراوح ما بين٣٠ و٤٠ عاما!!، ويحذر التقرير من غياب دور الأسرة حيث ان٥٨% من المدمنين يعيشون مع الوالدين، وأوضح أن العلاقة وثيقة بين التدخين وإدمان المخدرات.(٢)

والعجيب أن بعض الآباء والأمهات في هذه الأسر تعلم بهذا، ولا تلتفت لهذه الكارثة إما نكاية وانتقاماً من الطرف الآخر (الزوج أو الزوجة)، وإما لأن وقتهما ومشاغلهما

(١) www.alsharq.net.sa/٢٠١١/١٢/٢٠/٥٣٤٠٩ -.
(٢) صحيفة الأهرام اليومي بتاريخ ١٨/١١/٢٠١٢م.

خارج البيت لا يسمحان لهما بالوقوف في وجه هذا الخطر الداهم، وهذا وذاك ينم عن تدهور العلاقات الأسرية، وغياب مسئولية الزوجين عن هذه الأسرة.

٦- ظاهرة التدخين المنتشرة بين الأطفال:

من الكوارث التي تنبئ عن التفكك الأسري داخل المجتمع وجود عدد من الأطفال يتناولون الدخان بأنواعه في سن صغيرة، وهذه الكارثة تنذر بعواقب وخيمة على المجتمع كله، حيث يعد التدخين الباب الرئيس الذي يدخل منه هؤلاء الأطفال إلى عالم المخدرات، وما انتشار التدخين بين الأطفال إلا نتيجة ضياع الأسرة، وعدم قيامها بدورها الأصيل في تربية النشء، وإعداده إعداداً سوياً.

"فقد نجحت حملات شركات التبغ، التي يصرف عليها مليارات الدولارات سنويا في استقطاب ملايين الأطفال حيث إن ٢٠ - ٣٠ بالمائة من الأطفال في عمر ١١ عاما قد جربوا سيجارة واحدة على الأقل في حياتهم، وفي عمر الخامسة عشرة ترتفع هذه النسبة لتصل إلى ٦٠ - ٧٠ بالمائة، وتشير الدراسات إلى وجود علاقة وطيدة بين صغر سن الطفل عند تجربة التبغ والتدخين الدائم، فصغر سن الطفل عند البدء في التدخين يعتبر مؤشرا كبير الأهمية في تحديد حجم ومدة التدخين مستقبلا. "(١)

وفي بيان العلاقة بين تدخين الأطفال والتفكك الأسري " كشفت دراسة ألمانية حديثة أن أبناء الأزواج المطلقين أكثر اقبالا على التدخين، ويبدءونه بشكل مبكر مقارنة بغيرهم من الأطفال الذين يعيشون في أسر مستقرة وأوضحت الدراسة التي قام بها معهد "بي آي في" البحثي في برلين أن:" طلاق الأب والأم خلال مرحلة الطفولة من أكثر العوامل التي تزيد من خطورة تدخين الأطفال بعد ذلك" وأضاف:"الطلاق يشكل ضغطا كبيرا على الأبناء وهو ما يدفعهم غالبا للتدخين.

ووفقا للدراسة السابقة فإن حوالي ٤٠% من المراهقين الذين يعيشون مع أحد الأبوين

(١) www.bahrain٢day.com ٢٠٠٤/٠٤/٠٢م.

فقط، هم من المدخنين مقابل ٣٥% بين المراهقين الذين يعيشون مع أبويهما."(١)

٧- انحراف الأطفال

تحدثت في المظهرين السابقين عن ظاهرتي التدخين والمخدرات بين الأطفال دليلاً على وجود التفكك الأسري في المجتمع، وهنا أشير إلى أن هاتين الظاهرتين ليستا مظاهر التفكك الأسري المتعلقة بانحراف الأطفال فحسب. بل إن هناك انحرافات أخرى لدى الأطفال تشير إلى وجود هذا التفكك داخل الأسر التي عاشوا فيها مثل الشذوذ والسرقة والكذب، والعدوانية وحب الانتقام وغيرها من السلوكيات المنحرفة، والتي تنشأ غالباً نتيجة غياب الأسرة أولاً، وغياب التربية السليمة داخل الأسرة ثانياً، وغياب التربية من أسبابه وجود الخلافات والمشاحنات بين الأبوين، والهجر والطلاق وكل أشكال التفكك الأسري. فقد أثبتت العديد من الدراسات أن أكثر الجانحين ينتمون إلى أسر مفككة.

يقول الفريد دينتج(٢) : " إن أكثرية جرائم الأطفال غير البالغين تخرج من أنقاض أسر محطمة "(٣)

" وفي تقرير أعدته لجنة من بعض أعضاء الكونجرس الأمريكي لبحث انتشار الجريمة بين الطلاب. جاء في نهايته بعد ذكر إحصائيات رهيبة عن ازدياد جرائم الأحداث، وارتفاع نسبة المنحرفين بين الطلاب، مع شيوع الإدمان والحفلات الماجنة وكثرة الإجهاض بين الفتيات. عزا التقرير أسباب ذلكم التحلل الخلقي إلى التغيير العميق الذي طرأ على الأسرة فأفقدها الاستقرار، وأدى بها إلى الانهيار فضلا عما لوحـــظ من استهتار الآباء بالقيم والقانون، فلم يعد الطفـــل يجد البيئة الصـــالحة ذات العـــرف الاجتماعي والتقاليد الفاضلة "(٤)

---

(١) www.sa-leb.com، ١٧/٠٩/٢٠١٠م.

(٢) لم أعثر له على ترجمة.

(٣) الإسلام يتحدى أ/ وحيد الدين خان ص٢٥٤ ط/ المختار الإسلامي ط/ سابعة ١٩٧٧م

(٤) أهداف الأسرة في الإسلام أ/ حسين محمد يوسف ص٤٣، ٤٤ ط/ دار الاعتصام د.ت

وفي دراسة أجراها مركز أبحاث مكافحة الجريمة بالمملكة العربية السعودية عام ١٤٠٤هـ أظهرت النتائج ما يلي: لا يسكن الجانح مع والديه في الغالب. أم الجانح ليست في ذمة الأب، أحد الأبوين أو كلاهما متوفى، في الغالب ليس الأب هو ولي الأمر.(١)

٨- التأخر الدراسي عند بعض الأطفال

من المشكلات التي تواجه الأطفال في حياتهم الدراسية صعوبة التحصيل المدرسي، أو ما يعرف بالتأخر الدراسي، هذا التأخر الذي يعد من أسبابه الرئيسة التفكك الأسري، فإذا كان الطفل يعيش بين أسرة بلا أسرة، ولا استقرار ولا مودة انعكس ذلك على تحصيله وتفوقه الدراسي.

" ففي دراسة عن أثر بعض العوامل الاجتماعية علي التأخر الدراسي :دراسة تطبيقية علي طالبات المرحلة المتوسطة بمدينة جدة تبين أن هناك علاقة إحصائية بين التفكك الأسري وبين التأخر الدراسي، ويتضح حجم المشكلة إذا عرفنا أن عشرين تلميذًا من بين كل مائة تلميذ يعانون من مشكلة التأخر المدرسي "

تقول الباحثه هلا جمال الدين: " إن طبيعة العلاقات داخل الأسرة لها تأثيرها على التلميذ فوجود حالة التراع المستمر بين الأبوين، أو الطلاق والفراق، أو الانفصال عن الأبوين، أو سوء المعاملة من قبل الأسرة كلها من العوامل التي تؤدي إلى إهمال تنشئة الطفل وعدم إشباع حاجاته الضرورية، وبالتالي إلى حدوث التأخر الدراسي."(٢)

ويقول الباحث إبراهيم عبد الحميد الترتير: " إن عدم التوافق الأسري والاضطراب المترلي ينتج عنه العديد من المشكلات حيث تدخل الانطوائية إلى شخصية الطفل مما يتسبب في عجزه عن التحصيل الدراسي بصورة صحيحة"(٣)

---

(١) الجنوح والترويح في الأوقات الحرة لدى الشباب في المملكة العربية السعودية شرف الدين الملك ص ١١٩– مركز أبحاث مكافحة الجريمة – وزارة الداخلية – مطابع العبيكان الرياض ١٤٠٥هـ.

(٢) التأخر المدرسي أسبابه ومظاهره ص ١٢ بدون ذكر المطبعة.

(٣) أسباب التأخر الدراسي لدى طلاب الصفوف الأساسية الدنيا في محافظات شمال الضفة الغربية من وجهة نظر المعلمين ص ١٩ رسالة ماجستير بجامعة النجاح الوطنية – كلية الدراسات العليا – قسم=

٩- وجود ظاهرة ما يعرف (بأطفال المفاتيح)

ظواهر جديدة باتت تشق طريقها في مجتمعنا ومنها ما اصطلح عليه في علم الاجتماع بظاهرة (أطفال المفاتيح) وهم شريحة من الأطفال الذين يتركون لوحدهم في البيت، في الوقت الذي ينشغل فيه الأولياء بأمورهم الخارجية باعتبار أن بعضاً من الأولياء تنصّلوا من مسؤولياتهم، وتركوا أطفالهم عرضة للمخاطر، كما حملوهم مسؤولية تفوق قدرتهم العقلية، فنجدهم مطالبون بإعداد وجبات سريعة، حراسة المترل وغيرها.(١)

ولهذه المسألة سلبيات تؤثّر على الطفل، لأنها تعطيه الحرية للدخول والخروج من البيت متى شاء، وإمكانية القيام بسلوكيات سلبية أحياناً، كما أن الطفل في سن التحضيري والابتدائي بحاجة عند عودته من المدرسة وبعد فترة غياب لعدة ساعات لنوع من الاحتضان العاطفي والوجداني، ونوع من المراقبة والتوجيه ؛ لأن هذه الفترة هي فترة بناء شخصية الإنسان.

" ووفقاً لدراسة وضعتها منظمة توجهات الطفل الأميركية فإن ١٥٪من الأطفال بين السادسة والثانية عشرة في الولايات المتحدة الأمريكية (٣,٣ ملايين طفل) يقضون ساعات ما بعد المدرسة في رعاية أنفسهم أو مع أخ أو أكثر من شريحة العمر نفسها.(٢)

وهناك – أيضاً- ظاهرة أخرى تستحق الرصد والدراسة والتحليل، وهي ما يمكن أن نطلق عليها (شباب الأسر المسافرة) الذين يذهب آباؤهم، أو آباؤهم وأمهاتهم معاً لجمع الأموال من خارج البلاد، أو للتتره وقضاء عطلات طويلة، أو للدراسة الممتدة لسنوات، ويتركون أولادهم في الداخل لا يرونهم ولا يجلسون معهم إلا أياماً معدودة في السنة، وكل ما يربطهم بهم النقود التي يرسلونها إليهم.

وهؤلاء وهؤلاء يجسد أكثرهم واقع الأسرة المفككة التي يغيب عنها جو المودة والسكن

العلوم الإنسانية، نابلس فلسطين ٢٠٠٣م.

(١) http://essalamonline.com/ ٢٠١٢/٠٣/٠٦م.

(٢)...www.thawra.alwehda.gov.sy الأثنين ١٨-٤-٢٠١١م.

والدفء العائلي أفضل تجسيد، وإن كانت الزوجية والأبوة والأمومة موجودة بينهم على الورق، لذا – مع استمرار هذا الوضع الأسري الغريب - تتعرض هذه الأسر لعواصف أخلاقية شديدة وكوارث اجتماعية رهيبة تنتهي غالباً بالانهيار والتحطم.

ورضي الله عن الفاروق عمر حين أمر ألا يحبس الجند عن زوجاتهم وأسرهم أكثر من أربعة أشهر أو ستة(١) حتى لا تفتن الزوجات، وأقول: وتضيع الذرية من البنين والبنات – أيضاً-.

هذه هي بعض المظاهر الدالة على وجود مرض التفكك الأسري داخل المجتمع، وهي مظاهر تقل وتزيد من مجتمع لآخر. لكن لا يخلو مجتمع منها مما يؤكد أن هذه الظاهرة من الأمراض الخطيرة التي تهدد وحدة الوطن وأمنه وسلامته، وتتطلب التدخل السريع لعلاجها إنقاذاً للوطن من هذا الداء الوبيل، وهذا ما سأعرض له في المبحث القادم – بمشيئة الله تعالى-.

---

(١) انظر الأثر في سنن البيهقي الكبرى- كتاب السير، باب الإِمَامِ لاَ يُجَمِّرُ بِالْغُزَى ٩/ ٢٩ ط. مجلس دائرة المعارف النظامية بالهند، الطبعة: الأولى- ١٣٤٤ هـ.

المبحث الثاني

آثار التفكك الأسري على وحدة الوطن واستقراره وعلاجه في ضوء الإسلام

وبه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الآثار المعنوية.

المطلب الثاني: الآثار الحسية.

المطلب الثالث: علاج التفكك الأسري في ضوء الإسلام.

الأسرة هي لبنة بناء المجتمع فلا مجتمع بدون أسرة، ومن ثم ما يصيب الأسرة من أمراض وعواصف ودمار يصب في انهيار المجتمع وضياعه، وذهاب قوته، ووحدته وتماسكه." بحيث يمكن القول إن ثمة علاقة تبادلية بين التفكك الاجتماعي والتفكك الأسري، وأن هناك حالة من التأثير والتأثر بين الأسرة والمجتمع. "(١)

ذلك " أن العلاقات الأسرية تشكل الاساس للعلاقات الاجتماعية الأوسع مدى، وتعد ركائز أساسية في العلاقات الإنسانية عامة، حيث إن التماسك الأسري مطلب مهم للحفاظ على تماسك المجتمع، والإبقاء على القيم السليمة به، ولهذا فإن التفكك الأسري يعوق تحقيق الأسرة لرسالتها المجتمعية، ويسهم في تصدع وحدة وقوة النظام الاجتماعي.... فالأسرة مفوضة عن المجتمع لنقل ثقافة المجتمع إلى النشء بحكم قدرتها الفائقة عن غيرها من المؤسسات في تحقيق ذلك، وهذا بدوره يعكس مدى تأثير المشكلات الأسرية على المجتمع."(٢)

ولكي نبرهن على هذا التأثير المتبادل والتلازم بين التفكك الأسري وتشرذم الوطن وانهياره نقسم آثار التفكك الأسري على وحدة الوطن واستقراره إلى نوعين: آثار معنوية – وآثار حسية، ثم نتبعهما ببيان ما رسمه الإسلام من علاج لهذه الظاهرة الخطيرة، وذلك في المطالب الثلاث الآتية:

المطلب الأول: **الآثار المعنوية.ويتكون من عدة عناصر**

المطلب الثاني: **الآثار الحسية.ويتكون من عدة عناصر**

المطلب الثالث: **علاج التفكك الأسري في ضوء الإسلام.ويتكون من عدة عناصر**

وأبدأ في تفصيل القول في هذه الآثار بنوعيها لنستشعر مدى خطورة انهيار الأسرة على حب الوطن والانتماء له، ووحدته وتماسكه، وأمنه واستقراره، وذلك على النحو الآتي:

---

(١) التفكك الأسري وانحراف الأحداث ص ١٩ مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق ص ٢٧.

المطلب الأول

الآثار المعنوية للتفكك الأسري على وحدة الوطن واستقراره

ترجع الآثار المعنوية للتفكك الأسري على وحدة الوطن واستقراره إلى عدة عناصر أهمها:

١- ضعف الانتماء للوطن.

٢- ضعف الروح الجماعية والاتجاه نحو الفردية.

٣- الفرقة والاختلاف والتفكك الاجتماعي.

٤- زيادة مشاعر الكراهية والبغضاء بين أفراد المجتمع.

٥- العزوف عن بناء الأسرة في المستقبل مما يؤثر على امتداد الوطن واستمراره.

٦- الاختلال الثقافي والقيمي في الوطن.

وتفصيلها على النحو الآتي:

١- ضعف الانتماء للوطن.

مما لاشك فيه أن حب الوطن مفطور في قلب كل إنسان سويٍّ عاقل، ذلك أن الوطن هو البيئة والمكان الذي يفتح الإنسان عينيه عليه، ويعيش فيه مدة طويلة يتمتع بخيراته، وتتفتح فيه مشاعره وآماله، ويتزود من خبرات أهله ومعارفهم، فتظل صورة الوطن بكل من فيه، وما فيه محفورة في قلب الإنسان. ويتولد شعور جارف في الإنسان بالانتماء إلى هذا الوطن، والسعي نحو تقدمه وازدهاره، وحب التضحية في سبيل استقراره وعدم الاعتداء عليه.

وهذا الشعور الطبيعي بالانتماء للوطن ومحبته(١) قد يعترضه ما يؤثر عليه ويضعفه. بل

(١) شاهد تلك المحبة للوطن قول رسول الله ﷺ لمكة ما أطيبك من بلد وأحبك إلي ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك

حديث أخرجه الترمذي في سننه وقال: حديث حسن غريب من هذا الوجه وقال الشيخ الألباني: صحيح (سنن الترمذي باب في فضل مكة ج ٥/ ص ٧٢٣.

ربما يقضي عليه من الأساس فلا يعود الإنسان يحس نحو وطنه بأي ارتباط أو محبة، وقد يزداد الأمر سوءاً فيتحول إلى عدو لهذا الوطن.

وأشد ما يعترض الشعور بالانتماء للوطن هو ضياع الأسرة وتفككها، وعدم قيامها بدورها المناطة به مما يؤثر على الزوجين والأولاد ومن حولهم، ويشعرهم أن المجتمع تخلى عنهم، وتركهم فريسة للضياع والتفكك، وهذا بدوره يولد لديهم شعوراً سيئاً نحو هذا المجتمع، ويدفعهم للانتقام منه.

ومن هنا كان من عظمة القرآن الكريم توجيه الخطاب للمجتمع في القيام بدوره في إصلاح الأسرة حين تهب عليها رياح التفكك لإدراكها قبل أن تنهار؛ لأن انهيارها انهيار للمجتمع كله.

قال – تعالى " وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُواْ حَكَماً مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلاَحاً يُوَفِّقِ اللّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيماً خَبِيراً [النساء: ٣٥] والخطاب في الآية للمجتمع كله كما يقول الإمام الطبري – رحمه الله- " وإن علمتم أيها الناس شقاق بينهما"(١)

ويوضح الإمام الرازي – رحمه الله- لماذا خاطب الله ﷻ المجتمع جميعاً بهذا الخطاب فيقول: " وقال آخرون: المراد كل واحد من صالحي الأمة وذلك لأن قوله: {خِفْتُمْ} خطاب للجميع، وليس حمله على البعض أولى من حمله على البقية، فوجب حمله على الكل، فعلى هذا يجب أن يكون قوله: {فَإِنْ خِفْتُمْ} خطابا لجميع المؤمنين. ثم قال {فَابْعَثُوا} فوجب أن يكون هذا أمراً لآحاد الآمة بهذا المعنى، فثبت أنه سواء وجد الامام أو لم يوجد، فللصالحين أن يبعثوا حكما من أهله، وحكما من أهلها للإصلاح. وأيضا فهذا يجري مجرى دفع الضرر، ولكل أحد أن يقوم به. "(٢)

هكذا يجب أن يقوم المجتمع بدوره في حماية الأسرة، فإذا قصر في ذلك نبتت مشاعر

(١) جامع البيان في تأويل القرآن ٨/ ٣١٨ ط. مؤسسة الرسالة، ط. أولى ١٤٢٠هـ.

(٢) تفسير الفخر الرازى ١٠/ ٧٠ ط. دار إحياء التراث العربي ببيروت، د. ت.

الكراهية نحو هذا المجتمع في نفوس أفراد الأسرة، وضَعُف الانتماء للوطن لديهم.

ومما يجعل التفكك الأسري سبباً للاتجاهات السلبية نحو الوطن – أيضاً- نظرة المجتمع السيئة لأفراد الأسرة المتفككة، فالمجتمع ينظر إلى المطلقة نظرة الريبة والشك، ويحملها المسئولية وحدها عما حدث في الأسرة، وكذا الأولاد الذين يعيشون مع أمهاتهم أو جداتهم، وكذا الزوج – ولعله هو أقل المتضررين من تفكك الأسرة في عيون المجتمع، وإن كان أكثرهم حملاً ووزراً عند الله –تعالى- نتيجة ضياع هذه الأسرة التي كان راعياً لها، ومسئولاً عنها.

ومما يجعل التفكك الأسري سبباً للاتجاهات السلبية نحو الوطن –كذلك- عدم قيام الدولة بدورها في الحد من التفكك الأسري قبل وقوعه بتنظيم دورات للإعداد للزواج وتحمل المسئوليات، وإقامة مراكز للاستشارات الزوجية والأسرية، والتواصل المستمر بين المدرسة والأسرة، والنوادي الاجتماعية والرياضية والأسرة، وكذا عدم قيام الدولة بدورها في تخفيف المعاناة التي تلقاها الأسر المتفككة بالفعل من رعاية للمطلقات، وإعادة تأهيلهن من الناحية النفسية والاجتماعية، ورعاية لليتامى وأطفال الشوارع ونحوهم ممن لا عائل لهم، أو لديهم عائل تخلى عنهم.

٢- ضعف الروح الجماعية والاتجاه نحو الفردية.

كتب المفكر الأمريكي الشهير (فوكوياما)(١) كتابه [الانفراط العظيم] ليبحث فيه عن سبب التمزق في المجتمعات الغربية، وانتهى إلى أن التفكك الأسري هو السبب الرئيس في ذلك، وذلك على النحو الآتي:

"بدأ الكاتب في شرحه للأسباب التي أدت إلى ذلك التمزق في المجتمعات الغربية بمقدمة منهجية معقولة هي أنه ما دامت مظاهر هذا التمزق عامة في كل الدول الغربية الصناعية،

(١) يوشيهيرو فرانسيس فوكوياما كاتب ومفكر أمريكي الجنسية من أصول يابانية يعد من أهم مفكري المحافظين الجدد. من كتبه كتاب (نهاية التاريخ والإنسان الأخير) و(الانهيار أو التصدع العظيم). (الموسوعة الحرة – ويكيبيديا – نشر بتاريخ ٢٢/ ١٢/ ٢٠١٣م)

وما دامت قد حدثت مجتمعة، وفي فترة زمنية محددة، فإن هذا يدعونا لأن نبحث لها عن أسباب في أمر، أو أمور مشتركة بين هذه الأقطار، لا في الأسباب الخاصة ببعضها دون بعض.

ويرى تبعاً لذلك أن السبب الأساس لها كان تحولاً ثقافياً، وتحولاً قيمياً تمثل في اشتداد النزعة الفردية، وأن أعظم ما أثرت فيه هذه النزعة الفردية هو العلاقات بين الجنسين، والأسرة على وجه الخصوص. وأن مظاهر ذلك الانفراط أو التمزق نشأت كلها تقريباً عن التفكك الذي أصاب الأسرة....

وأن الدول الاسكندنافية (النرويج والسويد والدنمارك) التي هي الأعلى في نسبة التفكك الأسري، هي الأعلى أيضاً في نسبة التوحد (الوحدة)؛ إذ إن خمسين بالمائة من البيوت صارت تتكون من شخص واحد، بل إنه في مدينة أوسلو (عاصمة السويد) بلغت النسبة خمساً وسبعين بالمئة! "(١)

ولا شك أن هذه الفردية تؤدي إلى انعزال عن المجتمع، ومن ثم عدم الاهتمام بقضايا الوطن وما يموج فيه من أحداث، وما يتعرض له من مخاطر، وتوشك في النهاية أن يصاب الفرد بمرض السلبية الاجتماعية، ليتقوقع حول نفسه فيصبح عضواً غير فعال في المجتمع من حوله. بل يصبح وجوده كعدمه.

ولذا سمى (فوكوياما) هذه الظاهرة بظاهرة التمزق أو الانفراط، وهل يمكن أن تكون هناك وحدة وطنية لمجتمع متمزق ومنفرط بهذه الصورة؟!!

٣- الفرقة والاختلاف والتفكك الاجتماعي.

سمي المجتمع مجتمعاً ؛ لأنه يجمع عدداً كبيراً من الأفراد والأسر يضمهم تحت لوائه، ويصهرهم في أهدافه وآماله، وكذا الوطن سمي وطناً لتوطن الإنسان فيه، وهذا التوطن يولد بين الأفراد مصالح متشابكة وغايات متحدة، وعلاقات قوية ومترابطة.

(١) مقال أ.د/ جعفر شيخ إدريس بمجلة البيان العدد/ ١٤٣ ص – ٦٤، تصدر عن المنتدى الإسلامي.

فإذا أصيب الوطن بداء الفرقة والاختلاف وصارت الأهواء متنازعة والأهداف مختلفة، وكل فرد يبحث عن مصلحته الشخصية فقط مقدماً إياها على مصلحة الوطن والمجتمع، إذا حدث هذا فلا بد أن نبحث عن الأسباب التي أوقعت المجتمع في هذا الداء الوبيل.

يؤكد علماء الاجتماع – كما سبق أن ذكرت في مطلع هذا المبحث- أن التفكك الأسري سبيل إلى التفكك الاجتماعي، ونتيجة حتمية لذلك؛ لأن هناك علاقة متبادلة بين الأسرة والمجتمع من حيث التأثير والتأثر.

فإذا لم تستطع الأسرة أن تجمع أفرادها، وتقيم بينهم علاقات مترابطة ورؤى متحدة وانسجام تام فماذا سيفعل أفراد هذه الأسرة عند خروجهم إلى المجتمع؟!

وإذا لم تستطع الأسرة أن تربي أفرادها على أدب الاختلاف بحيث لا يصبح خلافاً، وينتهي بالفرقة والقطعية، بل العداوة والبغضاء والكيد والسعي إلى إيذاء الآخرين كما يحدث في الأسر المفككة، هل يمكن لأفراد هذه الأسرة أن يتعاملوا مع بقية أفراد المجتمع بغير الصورة التي تربوا عليها في الأسرة المفككة الضائعة.

إن الشوك لا ينبت عنباً، وكل أناء بما فيه ينضح. لذا ترى الأطفال الذين نشئوا في أسر مفككة يتعرضون لأمراض نفسية خطيرة يصعب معها الاندماج الطبيعي مع أفراد المجتمع.

" إن الطفل كجزء من الوحدة الأسرية يتأثر بما تتعرض له هذه الوحدة الأسرية من مشكلات وتمزقات تأثيراً سلبياً يعود بالضرر على الطفل والأسرة، ثم على المجتمع بصورة عامة، ومن ثم على الوطن، ومن مظاهر هذا التأثير:

" تنشأ لدى الطفل صراعات داخلية نتيجة لانهيار الحياة الأسرية فيحمل هذا الطفل دوافع عدوانية تجاه الأبوين وباقي أفراد المجتمع.

يعقد الطفل مقارنات مستمرة بين أسرته المتفككة، والحياة الأسرية التي يعيشها باقي الأطفال مما يولد لديه الشعور بالإحباط، أو قد يكسبه اتجاهاً عدوانياً تجاه الجميع، وبالأخص أطفال الأسر السليمة.

يتعرض الطفل للاضطراب والقلق نتيجة عدم إدراكه للأهداف الكامنة وراء الصراع

بين الوالدين، أو أسباب محاولة استخدامه من قبل والديه في شن الهجوم على بعضهما البعض واستخدامه كأداة لتحقيق النصر على الطرف الآخر.

يؤدي هذا الاضطراب في مرحلة الطفولة إلى اضطراب النمو الانفعالي والعقلي للطفل ؛ فيبرز للمجتمع فرد بشخصية مهزوزة أو معتلة يعود بالضرر على المجتمع بأكمله. "(١)

وليست الفرقة والتفكك الاجتماعي تصيب المجتمع من خلال الأطفال الذين نشئوا في أسر مفككة فقط. بل هناك – أيضاً- الزوجان وما يحمله كل منهما نحو الآخر من مشاعر الكره والانتقام، ويزداد التفكك الاجتماعي بدخول عائلتي الزوجين في خلاف وفرقة وقطيعة بسبب التفكك الأسري الذي أصاب أسرة ابنهم وبنتهم، وقد تستمر هذه الفرقة والقطيعة مع الأجيال، وهكذا تتسع دائرة الفرقة والقطيعة في المجتمع والسبب الرئيس في ذلك تلك الأسرة التي انفرط عقدها، وانحلت رابطتها، وتفككت أوصالها.

٤- زيادة مشاعر الكراهية والبغضاء بين أفراد المجتمع.

يأتي التفكك في الأسرة بعد سلسلة من المشاجرات والمنازعات، ونمو مشاعر الكراهية والبغضاء بين الزوجين، أو بين الوالدين وأبنائهما مما يرسخ لمشاعر الكراهية والبغضاء في النفوس، ويجعل منها نفوساً مريضة يتأصل فيها الكره بدلاً من الحب، والعداوة بدلاً من الرحمة، والنفور بدلاً من الوئام.

" فقد بينت نتائج الدراسات أن معظم الجانحين الذين ينحدرون من أسر متصدعة لا يحبون آباءهم ولا يثقون بهم ولا يشعرون بالارتياح معهم، ويتمنون لو كانوا أبناء لأسر أخرى، كما أنهم يشعرون بعدم الرضا عن أنفسهم، وبالفشل والإحباط واليأس والضياع والعصبية. "(٢)

وتمتد هذه المشاعر السلبية من هذه الأسرة الصغيرة المفككة إلى العائلة الكبيرة التي ينتمي إليها كلا الزوجين، فتتحول علاقة المصاهرة والنسب إلى علاقة المشاجرة والتعب،

---

(١) ٢٠٠٨/٨/١٨م www.ibtesama.com/

(٢) التفكك الأسري دعوة للمراجعة د/ شادية التل وآخرون ص ١٠ مرجع سابق.

والتربص والكيد، والدسائس والمؤامرات.

وعندها يفتح في المجتمع خرق يزداد مع الأيام اتساعاً، ونرى جبهات متناحرة ما بين المدافعين عن الزوج، وما بين المدافعين عن الزوجة، أو ما بين المؤيدين للأبناء الساخطين على الآباء، والساخطين على الأبناء المؤيدين للآباء. وتصبح النظرات مليئة بالكره والغل، والمشاعر منطوية على الكره والحقد. بل قد تمتد هذه المشاعر إلى الحياة والأحياء جميعاً.

تقول الدكتورة أمينة الجابر: " الأبناء الذين ينشئون في أسرة مفككة لا تعرف بين أفرادها غير النفور والكراهية لا تكون نشأتهم طبيعية،وتترسب في أعماقهم مشاعر الكراهية نحو الحياة والأحياء، "(١)

وهذه المشاعر عندما تشيع في المجتمع تصبح وحدة المجتمع شعاراً لا واقع له، وحبراً على ورق – كما يقال-.

٥- العزوف عن بناء الأسرة في المستقبل مما يـؤثر علـى امتـداد الـوطن واستمراره.

من الآثار السلبية الناتجة عن التفكك الأسري، والتي تصيب الوطن في مقتل على المدى البعيد عزوف الأبناء والبنات عن تكوين أسرة في المستقبل نتيجة الأهوال والفظائع التي عايشوها داخل أسرتهم المفككة.

" وتشير نتائج الدراسات إلى أن أبناء الأسر المفككة الذين يعيشون في مناخ أسري مضطرب يسوده الشقاق، وعدم الترابط كانوا أقل ثقة بأنفسهم، وأكثر قلقًا وتوترًا، وأقل توافقًا في علاقاتهم الاجتماعية مع الآخرين، وأكثر رفضًا للحياة الأسرية التقليدية من نظرائهم الذين يعيشون في أسر مترابطة متحابة يسودها الأمن، والتضحية، والتعاون، ووضوح الأدوار."(٢)، وهذا العزوف يؤدي بالمجتمع إلى مخاطر ومفاسد كبيرة.

" وأخطر هذه النتائج على الإطلاق اندثار نواة الأسرة التي هي الخلية الأساسية في بناء

(١) التفكك الأسري – الأسباب والحلول ص ٢٣ مرجع سابق.

(٢) التفكك الأسري دعوة للمراجعة د/ شادية التل وآخرون ص ٧ مرجع سابق.

كل مجتمع سليم، فالرجل يفتقد إلى عاطفة الأبوة، والمرأة تصير محرومة من عاطفة الأمومة التي لا تعادلها كنوز الدنيا بأسرها، وهكذا يتعرض المجتمع ككل إلى خطر الضياع والانحلال التدريجي.

كما أن العزوف عن الزواج -لا غرو - يؤدي إلى لجوء الشباب إلى المعاصي والآثام، وعند ذاك تنتشر الفواحش، ويعم الفساد أوساط الشباب ؛ فيهلك المجتمع عن آخره.

إن الزواج هو المجال الحلال الوحيد الذي فيه يتم تفريغ الطاقة الجنسية، وخارج هذا الإطار تؤدي العلاقات غير المشروعة إلى أمراض تعصى على الشفاء مثل الإيدز وغيره، وهي من نتائج العزوف عن الزواج أيضا.

وهناك أمر خطير يؤدي إليه العزوف عن الزواج وهو: اختلال الهرم السكاني في المجتمع، بمعنى زيادة عدد الشيوخ، وقلة عدد الأطفال والشباب مما ينذر بفناء المجتمع، أو ضياع سلالته الأصلية وسط السلالات الوافدة

يقول.الدكتور أمير بسام عن تجربة الدول الغربية في ذلك: " لقد انصرف الشباب والبنات عن الزواج ؛ لأنهم يجدون المتعة في غيره، ولا يريدون تحمل مسئولية الأبناء، ومع الوقت قل معدل الإنجاب، وقل في نفس الوقت معدل الوفيات، ومع الزمن أصبحت أغلبية السكان في سنِّ الشيوخ، وقلت نسبة الشباب الذين هم عماد كل أمة، وحدثت فجوة سكانية دفعت هذه الدول إلى تشجيع الهجرة إليها. بل انقلب الميزان السكاني في هذه الدول، فأصبح تزايد المهاجرين أكثر من تزايد سكان البلاد الأصليين، وأدى ذلك إلى نشأة حركات عنصرية تدعو إلى طرد المهاجرين، وفي نفس الوقت لا تستطيع دولهم الاستغناء عن هؤلاء المهاجرين؛ لأنهم أساسيون في سوق العمل.. وتعقدت المشكلة!!"(١)

وبناء على هذه الآثار فإن العزوف عن بناء الأسرة يؤدي إلى انهيار الوطن على المدى البعيد في المستقبل، لذا يجب القضاء على أسباب هذا العزوف الذي من أهمها التفكك

(١)/www.ikhwanonline.com-١ / ١ / ٢٠١١م.

والضياع الذي يعايشه الشباب في أسرهم وبيئتهم قبل أن يصلوا إلى سن الزواج وتكوين الأسرة.

٦- الاختلال الثقافي والقيمي في الوطن.

" يسبب التفكك الأسري اختلالاً في كثير من القيم التي يسعى المجتمع لترسيخها في أذهان وسلوكيات أفراده مثل الوحدة والترابط، والتراحم، والتعاون، والمسامحة ومساعدة المحتاج.. وغيرها من القيم الايجابية المهمة في تماسك الوطن واستقراره،"(١)وهذا الاختلال يأتي نتيجة عدم شعور الفرد بوجود هذه القيم في الأسرة المفككة، ومن خلال تعايشه داخل هذه الأسرة مع نقيض هذه القيم تماما فهو لا يرى في الأسرة المفككة إلا البغضاء والكراهية، والكيد والحقد، وعدم التسامح والتعاون، فينشأ ويتعود على هذه القيم السلبية المدمرة، ويخرج بها إلى المجتمع ليتعامل بها وينشرها بين أفراده، ومن ثم كلما زادت الأسر المفككة زاد انتشار هذه القيم السلبية في المجتمع، ومن هنا يحدث الخلل القيمي الذي نتحدث عنه، بحيث تصير القيم الإيجابية سلبية، والقيم السلبية إيجابية، والمعروف منكراً، والمنكر معروفاً.

" ومن ثم نؤكد على أن التفكك الأسري يؤدي الى هدم القيم الإيجابية وإشاعة نز الأنانية وعدم احترام القانون، والميل الى العنف، وعدم احترام الاخر. كما إن هذه الحالة تؤدي –بدورها– الى هدم نظام الاسرة ذاته، فالعلاقة ليست من طرف مؤثر واحد بل من طرفين مؤثرين يتبادلان التأثير. "(٢)

" إن الأسرة التي تعاني من داء التفكك تشكو لا محالة من اختلال يمس مستوى أدائها للأدوار والوظائف المناطة بها، والتي على رأسها وظيفة التنشئة الاجتماعية، ونقل ميراث الأمة الثقافي للأجيال الناشئة التي تقع فريسة توجيه التيارات الثقافية المتلاطمة في خضم

(١) التفكك الأسري – الأسباب والحلول ص ٣٠ مرجع سابق بتصرف.
(٢) التفكك الأسري أبرز مظاهر التدهور القيمي د. ناهدة عبد الكريم جريدة الصباح العراقية -٢١-٦-٢٠٠٦م.

المجتمع، والتي دفعت بها رياح العلمنة والتغريب.

وهكذا نصبح وجهًا لوجه أمام معضلة ثقافية وتربوية تتمثل في إفقار النسيج الثقافي التربوي للمجتمعات العربية والإسلامية من خلال تعطيل عملية تنمية رصيد القيم المجسدة لروح الأمة، والممثلة لبرمجتها العقلية ومنهجها السلوكي، كل ذلك لحساب اكتساح مساحات أوسع من المجتمعات من طرف جحافل القيم الثقافية الخادمة للتحديث والعولمة."(١)

" كما أن التفكك الأسري قد يؤدي بالفرد إلى إظهار نوع من السلوك الثقافي المنافي لما هو متعارف عليه في مجتمعه كرد فعل لعدم الرضى عن المجتمع وثقافته، فقد نجده يمجد الثقافة الوافدة على حساب ثقافة مجتمعة، وقد يصل الأمر إلى عرض وتمجيد ثقافة عدوه (الإسرائيلي) ومحاولة نشر أفكاره في المجتمع. "(٢)

ولعل السبب في ذلك الفعل المضاد هو شعور الفرد أن ثقافة المجتمع وقيمه لم تحم أسرته من التفكك والضياع، ولا يدري أن العيب ليس في الثقافة والقيم الإيجابية، وإنما في تمسك الناس بها، وتطبيقهم إياها في واقعهم الأسري والمجتمعي.

ولاشك أن الطعن في ثقافة المجتمع، ومحاولة استبدالها بغيرها يؤدي إلى خلخلة التماسك الاجتماعي للأمة من خلال خلخلة بنائها الثقافي والمعرفي، وإحداث ما يسمى بصراع الثقافات في المجتمع، وإضعاف الثقافة الإسلامية الأصيلة التي توحد الأمة وتجمعها بجعل ثقافات أخرى غريبة ودخيلة تنازعها مكانتها ومنزلتها لدى أفراد المجتمع المسلم.

هذه بعض الآثار المعنوية الناتجة عن التفكك الأسري، وقد رأينا أنها آثار مدمرة للوحدة الوطنية، مقوضة لبنيان المجتمع، مهددة أمنه واستقراره. ومن ثم يتأكد على القائمين على المجتمع أن يولوا هذا المرض الخطير الذي يصيب الأسرة عناية فائقة من حيث تلافي أسبابه، واتخاذ كافة التدابير الوقائية منه قبل وقوعه، وبذل كل الجهود في علاجه

(١)../www.islamweb.net.
(٢) التفكك الأسري – الأسباب والحلول ص ٣٠ مرجع سابق.

ومنع انتشاره بين أسر المجتمع.

والآن ننتقل إلى الآثار الحسية للتفكك الأسري على وحدة الوطن وأمنه واستقراره، لكي تكتمل الصورة المفزعة لخطورة هذا الداء الوبيل على المجتمع والوطن.

* * *

المطلب الثاني:

الآثار الحسية للتفكك الأسري على وحدة الوطن واستقراره

يمكن تلخيص الآثار الحسية للتفكك الأسري على وحدة الوطن واستقراره في عدة عناصر أهمها:

١- كثرة الجرائم وحوادث العنف

٢- عدم الالتزام بثوابت وضوابط المجتمع

٣- تفشي ظاهرة الإرهاب في المجتمع.

٤- انتشار الفاحشة والبغاء

٥- مساعدة الأعداء ضد الوطن " التجسس ".

٦- ضياع الاقتصاد وتعطيل الطاقات البشرية وضعف الإنتاج.

والحديث عنها بالتفصيل على النحو الآتي:

١- كثرة الجرائم وحوادث العنف

من خلال مشاعر الكراهية والبغضاء التي تنمو بين أفراد الأسرة المصابة بالضياع والتفكك يتعامل أفراد هذه الأسرة بنفس هذه المشاعر السيئة مع الآخرين، ومن ثم تصبح لديهم القسوة والغلظة في التعامل مع المجتمع، وينمو عندهم حب الانتقام والاستعداد للجريمة لأخذ الثأر من المجتمع الذي لم يحمهم ولم يدافع عنهم — كما يظنون-

" إن الأبناء في ظل التفكك الأسري قد تمتد إليهم يد المجرمين الذين يتخذون منهم وسيلة لنشر المخدرات، أو سرقة الآخرين، وتصبح الطفولة البريئة مباء للانحراف، وتشهد محاكم الأحداث صوراً من الجرائم التي يرتكبها الأطفال الذين لم يعيشوا في أسرة مترابطة. كما أن هؤلاء الأطفال الذين فقدوا حياة الأسرة الآمنة المطمئنة تستهويهم غالباً حياة التمرد والإدمان، ويتحول هؤلاء في المستقبل إلى طاقة معطلة أو مدمرة، ويرتد هذا على المجتمع بخسارة فادحة تعوق نموه.

لقد أثبتت الدراسات أن ظواهر الإجرام والعنف وانحلال الأخلاق وتوتر العلاقات بين

الدول وظهور العلاقات التي كانت سبباً في الحروب المدمرة، وحدوث القلاقل والمجاعات المهلكة مردها إلى أن الروابط النفسية في الأسر ضائعة، وأن أجيالا تربت وترعرعت بعيداً عن مشاعر الحنان والمودة والرحمة فانتكست فطرتها، وانغمست في بؤر الفساد، واستحوذ عليها حب الانتقام وإراقة الدماء والاستهانة بكرامة الإنسان وحياته. "(١)

ويوضح د إبراهيم الصنيع سبب كثرة الجرائم من الأحداث الذين يخرجون من أسر مفككة وهو: الشعور السائد لدى هؤلاء بعدم الأمان الاجتماعي، وضعف القدرة لديهم على مواجهة المشكلات، وتحولهم للبحث عن أيسر الطرق وأسرعها لتحقيق المراد دون النظر لشرعية الوسيلة المستخدمة في الوصول إلى الهدف ؛ فيصبح المذهب الميكافيللي هو الموجه لسلوك الفرد، وفي هذا تغييب للضمير، وللالتزام بالمعايير والنظم الاجتماعية السائدة التي توجه سلوك الأفراد نحو الطرق المقبولة لتحقيق الأهداف بصورة مشروعة"(٢)

وتؤكد الدراسات الإحصائية في القديم والحديث عن الأحداث المنحرفين أن التفكك الأسري سبب رئيس في كثرة جرائمهم الخطيرة في المجتمع. فمن الدراسات القديمة " دراسة لكل من (شلدون جلوك)(٣) و (اليانور جلوك)(٤) سنة ١٩٣٩م - ١٩٤٩م على (٥٠٠) نزيل في إصلاحية (ماستوسس الأمريكية) ظهر ان حوالي ٦٠% من النزلاء جاءوا من أسر متصدعة. وفي دراسة أخرى لكل من (شو) و(ماكاي) حول الوضع الأسري لمجموعة من المنحرفين وجد أن ٤٢,٥% منهم جاءوا من أسر متصدعة بالمقارنة مع مجموعة ضابطة حيث أن ٣٦,١% كانوا من الأسر غير المتصدعة.

وفي ألمانيا توصل (بون هوبر)(٥) من دراسة (١١٠) من المجرمين الخطيرين الذين حكم

---

(١) التفكك الأسري – الأسباب والحلول ص ٢٣ مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق ص ٣٠.

(٣) لم أعثر له على ترجمة.

(٤)لم أعثر له على ترجمة.

(٥)لم أعثر له على ترجمة.

عليهم، أن ٤٥% قد أحاطت بهم ظروف أسرية سيئة. وما يتعلق بالتعامل بين الوالدين والأبناء، فقد وجد (هيلي وبرونر) في دراستهما على (٤٠٠٠) حالة أن ٤٠% منهم قد جاءوا من أسر ينعدم فيها التقويم وتسود التنشئة الخاطئة."(١)

ومن الدراسات كذلك "دراسة (فهد الرويس – ١٤١٢هـ) عن أثر التفكك الأسري في عودة الأحداث إلى الانحراف، والتي أجريت على (٣٩ حدثاً) عائداً بدار الملاحظة الاجتماعية بالرياض، فقد أظهرت الدراسة أن نسبة ليست بالقليلة من أفراد العينة يعيشون في جو أسري متصدع ومتفكك، إمّا بطلاق، أو وفاة أحد الوالدين، إضافة إلى سوء العلاقة بين الآباء والأمهات، وكثرة المشاجرات بينهم.

وأظهرت كذلك أن أسر الأحداث العائدين إلى الجريمة تمتاز بكبر العدد، يصاحب ذلك انخفاض في الدخل الشهري وضيق في المساكن، وأن أسلوب معاملة الآباء للأبناء أتصف إمّا بالقسوة أو التدليل الزائد."(٢)

" وقد أثبتت الدراسات – أيضاً– أن نسبة ٧٠% إلى ٩٠% من الأحداث المنحرفين أتوا من بيوت شابها التناقض، وعدم الانسجام بين أفرادها. فالحدث عندما يفتح عينيه في بيت تسود فيه الخصومة والشجار بين الوالدين، فمن الحتمي أن يترك البيت القائم، ويهرب من محيط الأسرة الموبوءة ليبحث عن رفاق، مما يمهد له سبل الانحراف. وإن الأسرة التي تكون الأم هي المسئولة فيها، فان الطفل يفتقر إلى النموذج المثالي للسلوك المتوقع من طرف الشخص البالغ،وهذا ربما يعرض الحدث لمشاكل في سلوكه عندما يحاول هذا الحدث البرهنة على رجولته."(٣)

---

(١) العوامل الأسرية للجريمة، عبد الله مرقس رابي ص ٢، http://www.٤shared.com/file/l

(٢) أسباب العودة الى الجريمة دراسة عن أسباب عودة الأحداث إلى الانحراف، عبد الله بن ناصر بن عبد الله السدحان ص: ١٥ط. مجلة التعاون، مجلة تصدر عن الشئون الإعلامية بالأمانة العامة لمجلس التعاون لدول الخليج العربية، العدد ٤٢، ١٤١٧ﻫ

(٣) أثر العوامل الاجتماعية في جنوح الأحداث دراسة ميدانية أجريت بمركزي الأحداث بمدينتي قسنطينة وعين مليلة، للباحثة / حومر سمية ص ٣٤ رسالة ماجستير بجامعة منتوري قسنطينة=

وننوه هنا بسبق السنة النبوية المطهرة إلى التنبيه على أهمية إعطاء الطفل الجرعة الكاملة من الحنان والحب ؛ ليخرج إلى المجتمع في كِبَره بريئاً من القسوة والانحراف والظلم، وذلك من خلال معاملة المربي الأعظم ﷺ للحسن بن على ﷺ وهو صغير.عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قبَّل رسول الله ﷺ الحسن بن علي، وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسا فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحداً، فنظر إليه رسول الله ﷺ،ثم قال: " من لا يرحم لا يرحم "(١)

وليست جرائم الأحداث فقط هي الجرائم الناتجة عن التفكك الأسري بل هناك جرائم أخري وحالات عنف تقع في المجتمع بسبب هذا التفكك ومنها جرائم اعتداء الأزواج على الزوجات، وقتل الأزواج بعضهم لبعض بدافع الانتقام وإرادة التخلص من المشكلات المستمرة في الأسرة، وتمتد هذه الجرائم لتشمل عائلتي الزوجين فقد يعتدي أخو الزوجة على زوجها عصبية لها، ودفاعاً عنها، فيعتدي أهل الزوج عليه فتقع العداوة والمقاتلة بين العائلتين، وهناك -أيضاً- جرائم اعتداء الأبناء على الآباء، والضرب المبرح من الآباء للأبناء الذي قد يصل إلى إزهاق النفس.

تقول د/ أمينة الجابر: " قد يتجاوز التفكك إلى عنف يصدر من الرجل ضد المرأة والعكس، وليس العنف إلا ردة فعل لتصرفات الآخرين، فالرجل الذي يمارس العنف مع زوجته يثير لديها غريزة العنف. وكذا ممارسة العنف ضد الأبناء يثير لديهم غريزة العنف ضد الآباء مستقبلاً.

والعنف يبدأ بالكلمة النابية أو الاستهانة التي تحمل الآخر على التمرد ورد اساءة بمثلها أو أشد منها، وقد يتطور الأمر إلى الضرب وإلحاق الأذى المادي الذي يبلغ أحياناً درجة الإقدام على ارتكاب جريمة القتل."(٢)

بالجزائر كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية ٢٠٠٥/٢٠٠٦م.

(١) صحيح الإمام مسلم كتاب الفضائل باب رحمته ﷺ بالصبيان والعيال رقم ٢٣١٨.

(٢) التفكك الأسري – الأسباب والحلول ص ٢٣ مرجع سابق.

ويشير د/ أحمد عكاشة أستاذ الطب النفسي إلى خطورة انتشار هذه الظاهرة على المجتمع بقوله:"إن ضرب الزوجات أو تبادل العنف بين الزوج والزوجة داخل نطاق الأسرة يهدد كيان المجتمع كله، وكثير من جرائم القتل داخل الأسرة تبدأ باعتداء الزوج على الزوجة بالضرب وتظل الزوجة فى حالة كبت داخلى تترقب أقرب فرصة للانفجار كذلك الزوج بتماديه فى ضرب الزوجة، وتعدى كل الحدود يتزين له سهولة قتلها، وكثيرا ما يدفع الأبناء الثمن فيشردون أو ينحرفون، ويرفعون العنف شعاراً لحياتهم، وينعكس ذلك على المجتمع كله "(١)

٢- عدم الالتزام بثوابت وضوابط المجتمع

من المهمات الأساسية للأسرة تكوين حاسة الضبط الاجتماعي لدى أفرادها، والضبط الاجتماعي معناه:" الوعي بشعور الآخرين، ومراعاة حقوقهم وانتهاج سلوك يتأثر بهذا الوعي وهذا الضبط."(٢)

والمجتمع في حاجة ماسة لوجود ثوابت وضوابط تحدد للأفراد ما هو مسموح به في المجتمع، وما هو غير مسموح به، وتضع لهم مقاييس للسلوك الإنساني السوي الذي يتلاءم مع هوية المجتمع وأعرافه.

ومهمة الأسرة تنشئة أبنائها على هذه الثوابت والضوابط من خلال المحافظة عليها، وعلى الأعراف المجتمعية والالتزام بها وتطبيقها داخل الأسرة، ومن خلال ذكر هذه الثوابت ومدحها أمام الأطفال والشباب.

ومع شدة الصراع والخلافات داخل الأسرة يضيع الالتزام بهذه الأعراف والضوابط المجتمعية، وتصبح السلوكيات والتصرفات محطمة لكل هذه الثوابت وخارجة عنها فتسمع الألفاظ النابية الخارجة، وتلقى اتهامات الفحة الكبيرة، وتنتهك الخصوصيات، وتضيع قيمتي العرض والشرف، وتباح كل الأشياء الخارجة عن الدين والأخلاق والعرف.

---

(١) مجلة الحوار المتمدن العدد/ ١٦٧٥ بتاريخ ٢٠٠٦/٩/١٦م.

(٢) قاموس علم الاجتماع د/ محمد عاطف غيث ص ٤١٠ ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩م.

ومن ثم " يفرز التفكك جيل متساهل بالقيم والموروثات الاجتماعية، فكل ما لا يتناسب مع الهوى والنفس يكون من السهل تهميشه ؛ بسبب نماذج تعرض عليه في الصبح والمساء في أسرته المفككة ؛ وسماعه لكلمة (طلقني ؛ وأطلعي بره) ونحوهما."(١)

وفي هذا الجو المتمرد على ثوابت المجتمع وقيمه ينشأ الأطفال فلا يعرفون حدوداً للمجتمع تنتهي عندها نزعات الفرد وشهواته ونزغات شيطانه، ولا يستطيعون أن يفرقوا بين ما هو مقبول وسوي، وما هو سيء وقبيح، ويصبح التمرد على المجتمع وثوابته صفة لازمة لهم. بل قد يصل بهم التمرد إلى البحث عن أي خلق حسن، أو شيء جميل في المجتمع لتحطيمه والتخلص منه. ويصبح هؤلاء الأطفال عندما يكبرون لا يأبهون بقانون، ولا تردعهم سلطة، ولا يبالون بدين أو وطن، ويصبحون معول هدم وتخريب بدل أن يكون أداة بناء وتشييد.

٣- تفشي ظاهرة الإرهاب(٢) في المجتمع.

ذكرت في الأثر السابق أن ضياع الأسرة، وانقطاع حبال المودة بين أفرادها يولد عند أعضائها شعوراً بالتمرد على قيم المجتمع وثوابته وأخلاقه إما بسبب عدم التربية الحانية التي لم يتعرض لها أعضاء هذه الأسرة، وإما انتقاماً من المجتمع الذي ترك الأسرة تنهار على هذا النحو، وكلا الزوجين قد تدفعهم المشكلات الأسرية، وما يعانونه من إحباط نتيجة الفشل

(١).www.٤non.net/ -١٩/ ٢/ ٢٠١٠م.

(٢) له تعريفات كثيرة منها: " عدوان يمارسه أفراد أو جماعات أو دول بغياً على الإنسان (دينه،ودمه،وعقله،وماله،وعرضه) ويشمل صنوف التخويف والأذى، والتهديد والقتل بغير حق، وما يتصل بصور الحرابة وإخافة السبل، وقطع الطريق، وكل فعل من أفعال العنف أو التهديد، يقع تنفيذاً لمشروع إجرامي فردي أو جماعي، يهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس أو ترويعهم بإيذائهم، أو تعريض حياتهم أو حريتهم، أو أمنهم أو أحوالهم للخطر، ومن صنوفه إلحاق الضرر بالبيئة، أو بأحد المرافق والأملاك العامة أو الخاصة أو تعريض أحد الموارد الوطنية، أو الطبيعية للخطر، فكل هذا من صور الفساد في الأرض التي نهى الله سبحانه وتعالى عنها. (الإرهاب في ميزان الشريعة ص٢١ نقلاً عن كتاب: قرارات المجمع الفقهي الإسلامي ص٣٥٥-٣٥٦)

في إقامة حياة أسرية سعيدة إلى التمرد على المجتمع وإرادة الانتقام منه.

وفي هذا الجو ومع هذه النفسيات المحطمة والمحبطة يتدخل أعداء الوطن لتوجيه أمثال هؤلاء في ضرب استقرار الوطن وأمنه، فيصبحون أداة طيعة في يد المتطرفين والإرهابيين أعداء الدين والوطن والإنسانية.

ومع ازدياد التفكك الأسري في المجتمع يزداد حجم الإرهاب والتطرف والعنف، لذا عد العلماء والباحثون من أسباب الإرهاب ضياع الأسرة وتفككها.

ففي دراسته عن الإرهاب في ميزان الشريعة يعد د / عادل عبد الله العبد الجبار من أسباب الإرهاب الأسباب الأسرية ويوضحها فيقول: " التفكك الأسري،وغياب الدور الرقابي للوالدين على الأبناء، وسوء المعاملة، والتدليل الزائد من الوالدين أو الإهمال وغياب لغة الحوار مع الأبناء وإشراكهم في اتخاذ القرارات خاصة إذا كانت تتعلق مباشرة بمصيرهم كالتعليم والعمل والزواج من الأسباب الأسرية للإرهاب "(١)

ويقول د / عصام بن هاشم الجفري: " العوامل الاجتماعية المختلفة من البطالة والتفكك الأسري وضعف التربية والتوجيه وأصدقاء السوء ونحوها جميعها تشكل تربة خصبة لنمو الأفكار الخاطئة."(٢)

أما الأستاذ الدكتور / صالح السدلان فيقول عن الأسباب الاجتماعية للإرهاب: " تفكك المجتمع وعدم ترابطه لا يشعر الشخص أمام هذا المجتمع المفكك بالمسئولية تجاهه، ولا الحرص عليه، ولا الاهتمام به، ولا مراعاة الآخرين، فهذا يولد حالة من الشعور بالحرص الشديد على اقتناء كل جيد فيه وإن لم يكن حقه، وحين يمنع يتذمر ويزداد الأمر سوءاً، لذلك المجتمع المترابط والأسرة المتماسكة تحيط الأشخاص بشعور التماسك والتعاون، ومن شذ منهم استطاعوا استواءه ورده عن الظلم."(٣)

(١)الإرهاب في ميزان الشريعة ص ٣٧ بدون مطبعة ولا تاريخ بتصرف.

(٢)الإرهاب الأسباب والعلاج ص: ١٦ http://www.al-islam.com.

(٣) أسباب الإرهاب والعنف والتطرف ص ٢٧ بحث علمي مقدم للمؤتمر العالمي عن موقف الإسلام=

وهكذا يكاد يجمع كل من كتب عن أسباب تفشي ظاهرة الإرهاب في العالم اليوم أن وراءها أسباب اجتماعية على رأسها التفكك الأسري. ومعلوم أن الإرهاب يدمر الوطن ويقضي على مقدراته وخيراته، وإذا انتشر في بلد أهلك الحرث والنسل، وأفسد إفساداً ليس بعده إفساد. لذا فالقضاء على مرض التفكك الأسري وسرعة معالجته تخفيف لمنابع الإرهاب، وحل ناجع في عدم زيادة عدد المتطرفين والإرهابيين في المجتمع.

٤- تعرض الأطفال لمشاكل نفسية (تعقد نفسية الأطفال)

من الآثار السيئة الناتجة عن التفكك الأسري تحطيم نفسية الأطفال الذين يعيشون في تلك الأسر، مما يحولهم إلى مرضى نفسيين يحتاجون إلى علاج نفسي وإعادة تأهيل لكي يصبحوا أطفالاً أسوياء يفيدون المجتمع، ولا تعود منهم خطورة على أمن المجتمع وسلامته.

"ومما يدل على هذا الأثر السيئ ما كشف عنه مسئول وحدة الأطفال في مستشفى الطب النفسي ورئيس المستشفى الدكتور / أحمد الأنصاري عن آخر الإحصائيات المتعلقة بالاضطرابات السلوكية لدى الأطفال في مملكة البحرين والتي تشير إلى اكتشاف ٣٠٠ حالة بين أطفال المملكة ممن يعانون من تلك الاضطرابات بشكل سنوي، ١٥٠ منهم من طلبة المدارس. جاء ذلك خلال ورشة العمل التي أقامتها وزارتا الصحة والتربية والتعليم صباح أمس تحت عنوان «الاكتشاف المبكر للاضطرابات السلوكية والانفعالية".

وقال رئيس اللجنة المنظمة للورشة الدكتور/ أحمد مال اللّـه الأنصاري: إن قرابة ٢٠٠٠ يتلقون علاجا حاليا في عيادة الأطفال في مستشفى الطب النفسي إثر معاناقم اضطرابات سلوكية وانفعالية، في حين يمكث نحو ١٢ طفلا في المستشفى من ذوي الإقامة الطويلة إثر معاناقم من اضطرابات سلوكية شديدة، وذلك بسبب مشاكل اجتماعية، وتفكك أسري، ولخص الأنصاري تلك الاضطرابات التي تصيب الأطفال في المراحل الدراسية بأنها عبارة عن اضطرابات سلوكية ونقص في الانتباه وزيادة في الحركة

من الإرهاب بجامعة الإمام بالرياض ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

والعدوانية وغيرها من السلوكيات الغريبة، مبينا أن ثلث الحالات التي تستقبلها وحدة الأطفال في المستشفى تم تحويلها من المراكز الصحية."(١)

وهناك اضطرابات سلوكية أخرى تصيب الأطفال جراء التفكك الأسري الذي يعيشونه من هذه الاضطرابات:

أ) اعتناق مفهوم السلبية والأنانية وحب الذات فلا ينظر أبعد من حاجات نفسه، ولا يحس بدور له في هذه الحياة

ب) الشعور بالجوع العاطفي الملازم له حتى وإن كبر تجده يستجدي عطف الآخرين ومحبتهم، ويظل في حالة بحث مستمر عن هذا الحنان المفقود.

ج) يفرز أيضا شخصيه انتقاميه سادية محبة لتعذيب الآخرين وإرهاقهم بهدف الراحة؛ لأنهم سبب في ما يشعر به، وقد تكون حتى على الحيوانات."(٢)

ويرجع السبب في ذلك إلى" أن كثيراً من الحالات ينتقل الطفل من مقر الأسرة المتفككة ليعيش غريباً مع أبيه أو أمه، فيواجه بذلك صعوبات كبيرة في التكيف مع زوجة الأب أو زوج الأم، وقد يقوم الطفل بعقد عدة مقارنات بين والديه وبين الوالدين الجدد مما يجعله في حالة اضطراب نفسي مستمر، ويتحتم على الطفل وفقاً لهذا الوضع الجديد أن يتكيف مع بيئات مترلية مختلفة في النواحي الاقتصادية والاجتماعية والمستوى الثقافي مما يؤثر على شخصية الطفل بدرجة كبيرة؛ فيجعل منها شخصية مهزوزة غير مستقرة ومتأرجحة."(٣)

ومما لا شك فيه أن هذه العقد النفسية ستؤثر على المجتمع كله من حيث خروج بعض أفراد الجيل الذي ينتظر منه بناء المستقبل، وإعمار الحياة بهذه النفسية المعقدة التي ستهدم ولا تبني، وتثير القلاقل والاضطراب في الوطن كله.

---

(١) w ww.dahsha.com/–فاطمة علي – البحرين – أخبار الخليج.

(٢)...www.٤non.net -١٩/ ٢/ ٢٠١٠م.

(٣)١٨/ ٨/ ٢٠٠٨م/www.ibtesama.com

وهناك بُعدٌ آخر سيتحمله الوطن جراء تعقد نفسية الأطفال الناتج عن التفكك الأسري، وهو الانفاق على علاج هؤلاء الأطفال، وإعادة تأهيلهم، وهو ما سأشير إليه في الأثر الأخير من هذا المطلب.

٥- انتشار الفاحشة والبغاء(١)

يؤدي التفكك الأسري في بعض الأحيان إلى دفع أفراد هذه الأسر إلى البحث عن حل للخروج من هذا الانهيار الذي تعرضت له أسرهم، فقد يجد بعضهم الحل الصحيح في الاعتصام بالإيمان بالله ﷻ، والصبر وتقوى الله – تعالى-،وقد ينحرف بعضهم إلى طريق الفاحشة وارتكاب الموبقات إما هرباً من جحيم التفكك والمشكلات الأسرية، وإما انتقاماً من هذه الأسرة المتفككة ومن أعضائها، فتنحرف الزوجة باحثة عن المتعة الحرام انتقاماً من زوجها الذي هجرها،أو علقها فلم يطلقها أو يعاشرها بالمعروف، وتنحرف البنت في طريق الفاحشة انتقاماً من والديها اللذين قصرا في رعايتها، أو بحثاً عن مخرج من المشكلة التي تعيشها، فتكون كالمستجير من الرمضاء بالنار.

تذكر الباحثة / نجية إسحاق عبد الله في بحثها عن " سيكولوجية البغاء " تحت عنوان الأسباب الاجتماعية للبغاء ما نصه: " أما الاتجاه الاجتماعي فقد اعتمد في تفسيره على عدة عوامل أهمها تفكك الأسرة، وضعف الرقابة على الصغار، وسوء التنشئة الاجتماعية، وانحطاط القيم والمعايير الأخلاقية السائدة وفسادها، إلى جانب فساد البيئة الاجتماعية المباشرة كالحي والجيران. "(٢)

وفي دراسة بعنوان: (التفكك الأسري وظاهرة البغاء وإمكانية التصدي لها) تبين من نتائجها وجود علاقة بين التفكك الأسري وانتشار البغاء، وذلك من خلال النقاط التالية

(١) البغاء معناه: علاقة جنسية غير مشروعة بين رجل وامرأة بقصد الحصول على فائدة مادية أياً كان نوعها من قبل المرأة. { انظر سيكولوجية البغاء دراسة نظرية وميدانية د/ نجية إسحاق عبد الله ص ٢٤ ط/ مكتبة الخانجي بالقاهرة بدون تاريخ الطبعة }

(٢) سيكولوجية البغاء دراسة نظرية وميدانية ص٥٤.

١- يؤدي التفكك الأسري بمظاهره المختلفة إلى انحرافات اجتماعية وجنوح إلى الجريمة ومنها جريمة البغاء حيث ترتفع نسبة البغايا الذين يأتون من أسر مفككة ومتصدعة تتصف عادة بمعاناتها من ظرف أو أكثر.

٢- يؤدي التوتر في جو الأسرة والخلافات التي تشيع بين أفرادها خاصة بين الوالدين إلى توتر نفسي مقترن بالافتقاد إلى الأمن والانتماء ، قد يصاحبه أنماط غير سوية من السلوك بين الأبناء كالجنوح إلى الانحراف والرذيلة والعدوانية ، وعلى العكس تؤدي العلاقات المنسجمة بين الوالدين إلى تماسك الأسرة بما يساهم في تحقيق التوافق الاجتماعي لدى أفرادها وإشباع حاجاتهم إلى الأمن وخلق جو يعاون على نمو شخصيتهم وسلوكهم بشكل سوي.

٣- يؤدي إهمال الوالدين للأبناء وعدم العناية بهم، والعطف عليهم إلى شعور بالوحدة، والرغبة في الانضمام لأية جماعة حتى وان كانت منحرفة ، فيتلقفهم رفاق السوء وينحرفون بسلوكهم إلى الجريمة والانحراف.

٤- غالباً ما تزداد نسبة البغاء في الأسر التي تعاني من نقص في القيم الدينية السائدة ، والمنحلة اجتماعياً وثقافياً وقيمياً."(١)

وفي دراسة أخرى عن انتشار الفاحشة تحت اسم الزواج العرفي(٢) أكدت دراسة مصرية حديثة أن هناك علاقة وثيقة بين التفكك الأسري وبين الإقبال على هذا النوع من الفاحشة المسمى الزواج العرفي

" تقول الدراسة إنه من خلال دراسة الحالة النفسية والسمات الشخصية من خلال

(١)التفكك الأسري وظاهرة البغاء وإمكانية التصدي لها، صالح بريجع الخميس ٨ / ١٢ / ٢٠٠٥
furat.alwehda.gov.sy

(٢) المقصود بالزواج العرفي: أن تزوج المرأة نفسها لرجل بدون ولي في السر بشهادة رجلين أو بدون شهادة بكتابة ورقة أو بدون كتابة، وهو أمر قد شاع وانتشر بين بعض الشباب في بعض الدول في أيامنا هذه {راجع الزواج العرفي، سعيد عبد العظيم ص ١٢، ١٥ ط مكتبة دار الإيمان بالإسكندرية ٢٠٠٢م}

استمارة البحث التي قام بتحليلها مجموعه من أساتذة الطب النفسي تبين أن إقبال الشباب والفتيات على الزواج العرفي يرجع إلى عوامل نفسية عديدة أهمها: اضطراب البناء النفسي للشخصية.... عدم الصبر على تحقيق الآمال والطموحات.. اختلال العلاقات الأسرية وافتقادها للحوار الدافئ العائلي يجعل الأسرة مشتتة، كل فرد منها في جهة، ومن ثم تصبح قرارات الأبناء منفردة نتيجة فشل الأبوين في التربية.. وهو ما يؤدي إلى خلل في العاطفة وانهيار المكون المعنوي للشاب أو الفتاة، مما يدفعها إلى الانحراف، والجنوح إلى النزوات، وتفريغ الكبت العاطفي بتعجيل إتمام العلاقة العاطفية فيما يسمونه بالزواج العرفي "(١)

وأكد على علاقة التفكك الأسري بهذه الفاحشة المسماة الزواج العرفي الشيخ. سعيد عبد العظيم فذكر من أسباب شيوع هذه العلاقة المحرمة: " تفسخ الأسرة وانعدام الرقابة، وذكر تحت هذا السبب قول إحدى الفتيات: إن آباءنا لا يهمهن أمورنا ما دمنا لا نصل إلى المترل، ونحن نحمل أجنة في أحشائنا."(٢)

وهذا القول يعبر عن أي مدي من التسيب والتفكك والانهيار وصلت إليه مثل هـذه الأسر المفككة.

٦- مساعدة الأعداء ضد الوطن " التجسس ".

قد تدفع الكراهية وحب الانتقام إلى فعل أشياء بالغة السوء يفقد الإنسان معها شرفه وقيمته. بل يدفع في سبيلها حياته، ولأن الأزواج والأطفال الذين نشئوا في أسر مفككة تنطوي نفوس بعضهم على كراهية شديدة للمجتمع من حولهم ؛ لكونه لم يتدخل ليحميهم من هذا التفكك، وتنطوي نفوس البعض منهم على حقد تجاه الأسر التي تعيش في استقرار وأمان، فنتيجة لمشاعر الكراهية والحقد هذه تتولد عندهم رغبة في الانتقام من المجتمع، وربما يندفع البعض مع هذه الإرادة الانتقامية التي تستولي عليه أن يخون وطنه وبلده، ويصبح جاسوساً للأعداء ضد هذا الوطن.

(١)منتديات همس الثقافية www.hmsaat.com بتاريخ ١٢/١/٢٠٠٩م

(٢) الزواج العرفي، سعيد عبد العظيم ص٢٩ مرجع سابق.

فمن خلال تحليل شخصية الجاسوس تبين أن " الأشخاص الذين يتجسسون على وطنهم للعدو منافقون ومنحرفون، يتصفون بالطمع والجشع والأنانية، وهؤلاء جبناء لا يستطيعون أن يظهروا الحقيقة، وهم انتهازيون وخطرهم كبير على المجتمع. وهناك الأشخاص الذين يتجسسون رغبة في التجسس وحباً في المغامرة لإظهار الشجاعة والجرأة، أو إرضاء لما يكمن في نفوسهم داخلياً من حب الاعتداء والرغبة في الإضرار والقتل والسفك للأرواح والدماء، فهؤلاء مصابون بمرض حب النفس والعدوان اكتسبوه في ظل البيئة التي يعيشون فيها نتيجة للسلسلة الطويلة من السلوك الإحباطي والقمعي الذي يتعرضون له في المجتمع. "(١)

والأسرة هي المسئولة الأولى عن تنمية مشاعر الإحباط، وتعويد الأطفال على القمع والعنف لما يرونه من مظاهر العنف بين الأبوين، أو بين الأخوة، وهكذا يمكن أن يؤدي التفكك الأسري إلى أن يتجه الشخص لهذه الخيانة لوطنه إن أتيح له ذلك، أو يتولد لديه استعداد ورغبة في تلك الفعلة الشنعاء.

٧- ضياع الاقتصاد وتعطيل الطاقات البشرية وضعف الإنتاج.

" يجمع المهتمون بأمور تنمية المجتمعات على أن للتفكك الأسري أثرًا معيقاً في سبيل تحقيق أهداف التنمية ؛ لأن التنمية تعتمد على وجود أسرة قائمة بوظائفها بشكل سليم، تحقق الغرض من وجودها، وتنتج أفراداً إيجابيين قادرين على تحمل المسئولية الملقاة عليهم بالإسهام في رقي المجتمع وتطوره في كافة المجالات.

وعندما يحدث تفكك للأسرة يتشتت أفرادها، وينشغل كل منهم بمشكلاته الشخصية عن مسؤولياته الاجتماعية، وبدلاً من أن يكون رافداً منتجاً في المجتمع يصبح فرداً محبطاً يحتاج إلى جهود تبذل لمساعدته في تجاوز هذه المشكلات، وكان بالإمكان صرف تلك الجهود في تنمية المجتمع والسعي إلى تقدمه ونهضته. وكما يقول أحد الباحثين في التنمية:

(١) التجسس وأحكامه في الشريعة الإسلامية، د/ محمد راكان الدغمي ص ٨٧ ط. دار السلام بالقاهرة ط.٢/ ١٩٨٥م.

تظل إنتاجية المجتمع المحصلة النهائية لما يعايشه المجتمع، ويعيش فيه من مظاهر وسمات، وما يربط أفراده من روابط وصلات. "(١)

وفضلاً عن كون التفكك الأسري يعيق التنمية ؛ لكونه يضيع الفرد، ويمنعه من النشاط الحيوي، ويجعل منه شخصاً يائساً محبطاً ضعيف الثقة في نفسه لا يسهم في عملية البناء والتقدم، ولا يقدم لوطنه شيئاً نافعاً. فضلاً عن هذا كله فإن التفكك الأسري يحمل الدولة أعباءً مادية كثيرة تأخذ من ميزانيته، وتضعف من قدرته المالية، وتعطل عملية الانتاج. هذه الأعباء تتمثل في النفقة على علاج آثار التفكك الأسري من التأهيل النفسي للأطفال والشباب الذين يعانون من الأمراض النفسية جراء الهيار أسرهم، ومكافحة الجريمة المنتشرة بسبب كثرة الأسر المنهارة في المجتمع، وعلاج مدمني المخدرات والكحوليات من الشباب والأطفال، وعلاج الأمراض الناتجة عن التدخين المبكر لدى الأطفال، والذي ينتهي هم إلى أمراض فتاكة تكلف المجتمع كثيراً من الأعباء المادية.

هذه هي الآثار الاقتصادية السيئة المباشرة للتفكك الأسري، وهناك آثار اقتصادية أخرى غير مباشرة **مثل ضياع وقت العمل في متابعة القضايا والمشكلات الأسرية أمام المحاكم، و إنفاق الجهد والوقت في الكيد والخصومة بين الزوجين والعائلتين مما كان يجب أن ينفق في الأمور التي تعود بالخير على المجتمع والوطن.**

* * *

(١) التفكك الأسري – الأسباب والحلول ص ٣١ مرجع سابق.

المطلب الثالث:

علاج التفكك الأسري في ضوء الإسلام

تحدثت في المطلبين السابقين عن بعض الآثار الحسية والمعنوية التي تهدد وحدة الوطن وأمنه واستقراره من وراء هذا الداء الخطير (التفكك الأسري)، وهذه الآثار توجب على المجتمع كله بأفراده ومؤسساته وجمعياته وحكومته أن يتدخل لعلاجه، وقد رسم الإسلام طريق العلاج الناجع لهذا الداء الأسري الوبيل من خلال أدوية شتي **أجمل بعضاً منها في النقاط الآتية:**

أولاً: الوقاية خير من العلاج، وذلك بتلافي الأسباب التي تودي إلى التفكك الأسري قبل الزواج، وذلك بما يأتي:

أ – إعداد الزوجين من خلال أسرتيهما لتحمل أعباء الأسرة، وكيفية المحافظة عليها، ومواجهة مشكلاتها وعقباتها.

ب– قيام المجتمع بمهمته في إعداد الزوجين لتحمل أعباء الأسرة وتربية الأجيال من خلال نصحهما، وتيسير سبل الزواج لهما، وتقديم القدوة الحسنة لهما في تكوين الأسرة الفاضلة.

ج – حسن اختيار الزوجين بعضهما لبعض من جميع النواحي الدينية والاجتماعية والثقافية والمادية، وتقديم الناحية الدينية على غيرها كما أوصى بذلك رسول الله ﷺ حين قال: (فاظفر بذات الدين تربت يداك)، وقال:(إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه)

د– الالتزام بهدي الإسلام وأحكامه في بناء الأسرة، والتخلي عن العادات والأعراف البعيدة عن منهج الإسلام قبل الزواج وأثنائه مثل عدم السماح برؤية الخاطب لمخطوبته، أو اختلاء الخاطب بمخطوبته وإحلال الخطبة محل العقد، والبذخ والإسراف في حفلات الزفاف، ونحو ذلك من العادات السيئة المتحكمة في كثير من الأسر داخل بعض المجتمعات الإسلامية.

ثانياً: عند قيام الأسرة يجب إحاطتها بالرعاية، وشمولها بالحفظ، والعمل على منع الأسباب التي تدخل منها رياح الخلافات والمشكلات عليها، مثل تدخل الأهل والجيران السلبي، والإغراءات المادية ونحوهما.

ثالثاً: المسارعة في علاج بدايات التفكك عند أول ظهوره في الأسرة، وعدم ترك المشكلات الصغيرة حتى تكبر وتتفاقم وتقضي على الأسرة، استجابة لقوله ﷻ {وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُواْ حَكَماً مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلاَحاً يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً خَبِيراً} [النساء: ٣٥]

فبمجرد الخوف قبل حصول الشقاق يجب على المجتمع كله أن يتدخل للإصلاح بين الزوجين والمحافظة على الأسرة، وتوعية الزوجين بالآثار الضارة لانفصام عرى الأسرة.

يقول صاحب الظلال: " لا يدعو المنهج الإسلامي إلى الاستسلام لبوادر النشوز والكراهية، ولا إلى المسارعة بفصم عقدة النكاح، وتحطيم مؤسسة الأسرة على رؤوس من فيها من الكبار والصغار - الذين لا ذنب لهم ولا يد ولا حيلة - فمؤسسة الأسرة عزيزة على الإسلام بقدر خطورتها في بناء المجتمع، وفي إمداده باللبنات الجديدة، اللازمة لنموه ورقيه وامتداده. إنه يلجأ إلى هذه الوسيلة الأخيرة - عند خوف الشقاق - فيبادر قبل وقوع الشقاق فعلاً.. ببعث حكم من أهلها ترتضيه، وحكم من أهله يرتضيه. يجتمعان في هدوء. بعيدين عن الانفعالات النفسية، والرواسب الشعورية، والملابسات المعيشية، التي كدرت صفو العلاقات بين الزوجين. طليقين من هذه المؤثرات التي تفسد جو الحياة، وتعقد الأمور، وتبدو - لقربها من نفسي الزوجين - كبيرة تغطي على كل العوامل الطيبة الأخرى في حياتهما. حريصين على سمعة الأسرتين الأصليتين. مشفقين على الأطفال الصغار. بريئين من الرغبة في غلبة أحدهما على الآخر - كما قد يكون الحال مع الزوجين في هذه الظروف - راغبين في خير الزوجين وأطفالهما ومؤسستهما المهددة بالدمار... وفي الوقت ذاته هما مؤتمنان على أسرار الزوجين، لأنهما من أهلهما: لا خوف من تشهيرهما بهذه الأسرار. إذ لا مصلحة لهما في التشهير بها، بل مصلحتهما في دفنها

ومداراتها!

يجتمع الحكمان لمحاولة الإصلاح. فإن كان في نفسي الزوجين رغبة حقيقية في الإصلاح، وكان الغضب فقط هو الذي يحجب هذه الرغبة، فإنه بمساعدة الرغبة القوية في نفس الحكمين، يقدر الله الصلاح بينهما والتوفيق. "(١)

رابعاً: التقليل من الآثار السيئة للتفكك الأسري إذا حدث بتنفيذ الأوامر الشرعية المرتبطة بالفرقة بين الزوجين، ورعاية المطلقات وإنصافهن، وتعديل نظرة المجتمع لهن، ورعاية الأولاد الذين تفككت أسرتهم، ومتابعة المجتمع والدولة لهم في سلوكياتهم ودراستهم.

خامساً: الأخذ على يد المجرمين والمفسدين الذين يستغلون المشكلات الأسرية لتشجيع الزوجين على سرعة القضاء على الأسرة، وتشجيع الأولاد على التمرد على والديهم، وترك الأسرة، والعيش في الشوارع بين المجرمين، وترويج المخدرات والمهلكات بين أفراد الأسرة، وكذا الأخذ عل يد الوسائل الإعلامية التي تعمل على زرع المشكلات الأسرية، وتدعو صراحة أو ضمناً إلى الخروج على القيم الإسلامية التي تحفظ الأسرة وتحميها.

سادساً: محاربة المخدرات والمسكرات ورافدهما الأساسي (التدخين) لما لهم من خطر شديد على التماسك الأسري والترابط العائلي.

سابعاً: قيام العلماء بمهمتهم في توعية الأجيال القادمة بكيفية بناء الأسرة والمحافظة عليها على أساس من تقوى الله ﷻ، والتمسك بشرعه، وتحصين الأزواج وأزواجهم ضد السموم والمشكلات التي تزعزع استقرار الأسرة وتماسكها.

ثامنًا: قيام الدولة بمهمتها في النهوض والتقدم الاقتصادي الذي يعود على المجتمع بالرخاء، وعلى الأسرة بالاستقرار والتماسك، و يقضي على سبب كبير من أسباب التفكك الأسري.

هذه بعض وسائل علاج التفكك الأسري، وما يأتي من توصيات البحث يدخل

---

(١) في ظلال القرآن ٢/ ١٢٥، ط.دار الشروق بالقاهرة ـ الطبعة السابعة والعشرون سنة ١٩٩٧م.

دخولاً أولياً وكبيراً في العلاج، ولكني آثرت ذكر هذه النقاط من العلاج ضمن توصيات البحث لتسليط الضوء عليها، ولتكون تحت نظر المهتمين بعلاج هذه القضية فيشرعوا في تنفيذ هذه النقاط تنفيذاً عملياً سريعاً للحد من تفشي هذه الظاهرة المدمرة للوطن وأمنه واستقراره، وبهذا انتقل إلى خاتمة هذا البحث على النحو الآتي:

الخاتمة

الحمد لله بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيد الكائنات سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه سادة السادات، وسلم تسليماً كثيراً. وبعد

فقد عشنا في هذا البحث مع ظاهرة من الظواهر السيئة التي انتشرت في مجتمعاتنا العربية والإسلامية في زماننا هذا، ورأينا من خلال هذه المعايشة مدى ما لها من آثار سلبية على وحدة الوطن وتماسكه واستقراره، **والآن نأتي إلى نتائج البحث التي جاءت على النحو الآتي:**

أولاً: للأسرة دور كبير في تعزيز قيم التماسك الوطني والوحدة الاجتماعية. بل يمكن القول: إنها المؤسس الأول لحب الوطن في النفوس، وهي الراعية والحامية له من خلال قيامها بمهامها الطبيعية من إشاعة الحب والمودة وتوثيق الروابط بين أفراد المجتمع، وتنشئة الأطفال وتربيتهم تربية سليمة.

ثانياً: تتعدد مظاهر التفكك الأسري في المجتمع، مع الأخذ في الاعتبار أن التفكك الأسري ليس محصوراً في الطلاق أو الخلع أو الهجر أو الموت كما يظن البعض، بل هناك أسر ظاهرها التماسك وباطنها التفكك إلى أبعد حد، وهي الأسر التي لا يقوم كل فرد فيها بدوره نحو أعضاء الأسرة، ونحو المجتمع من حوله.

ثالثاً: خطورة انتشار المخدرات والمفترات في المجتمع إذ إنها تعد مظهراً ودليلاً على انهيار الأسرة وتفككها، وفي نفس الوقت تعد سبباً من أسباب الوصول إلى هذا التفكك.

رابعاً: ظهر من خلال البحث الحجم الكبير للتوتر والخلافات التي تعم كثيراً من الأسر مما زاد من قضايا الطلاق والخلع والهجر في كثير من المحاكم، وكل هذا يؤكد أننا أمام نذير خطر يهدد وحدة الوطن واستقراره.

خامساً: تبدأ أسباب التفكك الأسري قبل تكوين الأسرة من خلال عدم تربية الآباء والأمهات أولادهما على تحمل مسئوليات الأسرة، وعدم الاختيار الحسن عند الزواج.

سادساً: اتباع أوامر القرآن الكريم وسنة النبي ﷺ المتعلقة ببناء الأسرة قبل الزواج وبعد

الزواج كفيل بتلاشي كل أسباب التفكك الأسري، وإقامة أسرة مترابطة سعيدة تحمي وطنها وتحافظ عليه.

سابعاً: الحضارة الغربية الحديثة بأفكارها المادية البحتة، وحرصها على متعة الجسد وحده أثرت تأثيراً ملحوظاً في بعض الأسر فحلت فيها الصراعات والنزاعات على قيادة البيت، وإنفاق المال، وشغلت الزوجين عن القيام بالواجبات الأسرية بالأعمال الخارجية ووسائل الإعلام الحديثة مما تسبب في تفكك الأسرة وانهيارها.

ثامناً: للتفكك الأسري آثار سيئة على وحدة الوطن واستقراره وأمنه بعضها معنوي، وبعضها حسي، وهذه الآثار تعود بشكل أكبر على الأولاد أولاً، ثم الزوجين وأسرتهما ثانياً، ثم تنتقل هذه الآثار السيئة إلى المجتمع كله من حولهم.

تاسعاً: الأسرة الصالحة المترابطة تقوي انتماء الإنسان لوطنه، والأسرة المفككة تضعف هذا الانتماء، وتجعل الإنسان لا يفكر إلا في نفسه فقط، وتعمق مشاعر البغضاء والحسد بين أبناء الوطن الواحد.

عاشراً: تُخرِّج الأسرة المفككة –غالباً- أحداثاً ومجرمين ومتطرفين وإرهابيين، أو على الأقل مرضى نفسيين كارهين وحاقدين على المجتمع، وهذا كله بسبب عدم نشأتهم في أسرة مستقرة يحوطها الحب والحنان، وهؤلاء يمثلون خطراً داهماً على الوطن مما يوجب علاج المشكلة من جذورها برعاية الأسرة والمحافظة عليها.

حادي عشر: ظاهرة التفكك الأسري لم ينته البحث فيها لكونها ظاهرة متجددة، فقد تظهر أسباب جديدة، ومظاهر حديثة لهذا التفكك مما تستحق أن ترصد وتعالج من جديد من النواحي الشرعية والنفسية والاجتماعية.

وأما التوصيات التي برزت من خلال البحث فيمكن تلخيصها فيما يأتي:

أولاً: وجوب الاهتمام بالأسرة من خلال إنشاء مراكز اجتماعية وجمعيات أهلية تقوم بإعداد دورات للتوعية بالواجبات والحقوق الأسرية، وكيفية التعامل الحسن بين الزوجين للشباب والفتيات المقبلون على الزواج، ودورات أخرى للتوعية بكيفية حل المشكلات

التي تواجه الزوجين بعد الزواج حلاً يحفظ على الأسرة استقرارها وسعادتها.

ثانياً: إنشاء وحدات اجتماعية داخل المدارس والجامعات وفي أماكن تجمعات الشباب لمتابعة أحوالهم الأسرية والاجتماعية، وحل المشكلات التي يتعرضون لها من خلال الاتصال بأسرهم، والتواصل معهم للمحافظة على هؤلاء الشباب من الانحراف.

ثالثاً: تفعيل دور لجان الصلح بين الزوجين، وجعلها تابعة للمحاكم الشرعية، وتحت إشراف علماء الدين لتوجيهها التوجيه السليم لدرء وقوع التفكك والانهيار الأسري.

رابعاً: العناية بالجمعيات القائمة على رعاية الأيتام، والعناية بدور رعاية الأحداث لاستيعاب أكبر عدد من أطفال الشوارع، وحبذا لو قامت الجمعيات الخيرية برعاية أطفال المطلقات والمهجورات كرعايتها لليتامى.

وختاماً.. أسأل الله – ﷻ – أن يتقبل مني هذا العمل، ويجعله خالصاً لوجهه الكريم، و ينفع به كاتبه وقارئه وكل من ينظر فيه، ويغفر لي ما كان فيه من سهو أو خطأ أو تقصير. إنه نعم المولى ونعم المجيب.

وصل اللهم وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

الباحث

محمد رمضان أبوبكر محمود

ثبت بأهم المراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: الكتب

١- الاتجاهات المعاصرة في دراسة الأسرة. د/ علياء شكري، ضمن سلسلة علم الاجتماع المعاصر – الكتاب الخامس والعشرون – بدون مطبعة ولا تاريخ.

٢- أثر التفكك الأسري على جنوح طلاب المدارس الثانوية – دراسة سببية مقارنة على طلاب المدارس الثانوية للبنين بشرق الرياض–، الباحث/ صالح حسين العقيدي، رسالة ماجستير بجامعة نايف للعلوم الأمنية – كلية الدراسات العليا – قسم العلوم الاجتماعية – الرياض ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.

٣- أثر التفكك العائلي في جنوح الأحداث. جعفر عبد الأمين الياسين، ط.عالم المعرفة بيروت ط١ ١٩٨١م.

٤- أسباب الإرهاب والعنف والتطرف، الأستاذ الدكتور / صالح السدلان، بحث علمي مقدم للمؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب بجامعة الإمام بالرياض ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٥- أسباب العودة الى الجريمة دراسة عن أسباب عودة الأحداث إلى الانحراف، عبدالله بن ناصر السدحان،ط. مجلة التعاون، مجلة تصدر عن الشئون الإعلامية بالأمانة العامة لمجلس التعاون لدول الخليج العربية، العدد٤٢، ١٤١٧ ه.

٦- الأسرة التكوين الحقوق والواجبات، الدكتور / أحمد حمد ط/ دار القلم الكويت ط/أولى سنة ١٩٨٣م.

٧- الإسلام والمرأة المعاصرة – أ/ البهي الخولي ط. دار القلم ـ كويت ـ ط. ثالثة.

٨- الإسلام يتحدى أ/ وحيد الدين خان، ط/ المختار الإسلامي ط/ سابعة ١٩٧٧م.

٩- الأمومة ومكانتها في ضـوء الكتاب والسنة. د/ مها الأبرش، ط. جامعة أم

القرى سنة ١٩٩٦م.

١٠- الانحراف الاجتماعي ورعاية المنحرفين د/ محمد سلامة غباري ط المكتب الجامعي الحديث الإسكندرية ١٩٨٩م

١١- الإنسان بين المادية والإسلام أ/ محمد قطب – ط/ دار الشروق – ط/ سادسة سنة ١٩٨٠م.

١٢- أهداف الأسرة في الإسلام أ/ حسين محمد يوسف، ط/ دار الاعتصام د.ت.

١٣- التأخر المدرسي أسبابه ومظاهره، للباحثة / هلا جمال الدين بدون ذكر المطبعة.

١٤- التجسس وأحكامه في الشريعة الإسلامية، د/ محمد راكان الدغمي ط. دار السلام بالقاهرة ط.٢/ ١٩٨٥م.

١٥- التحرير والتنوير، للإمام / الطاهر بن عاشور، ط.ـ دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس – ١٩٩٧ م.

١٦- تفسير الفخر الرازى، الإمام الرازي، ط. دار إحياء التراث العربي بيروت، د. ت.

١٧- تفسير القرآن العظيم الإمام ابن كثير ط.دار الحديث ـ ط. ثانية سنة ١٩٩٠م.

١٨- التفكك الأسري الأسباب والحلول المقترحة، د. أمينة الجابر و آخرون، ط وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – قطر، سلسلة كتاب الأمة، العدد / ١٤٢٢،٨٣هـ.

١٩- التفكك الأسري دعوة للمراجعة، شادية التل وشافي بن سفر الهاجري، وآخرون، ط وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – قطر، سلسلة كتاب الأمة، العدد / ١٤٢٢،٨٥هـ.

٢٠- التفكك الاسري و أثره على انحراف الاطفال، جلال فاطمة الزهرة، مجلة العلوم الاجتماعية.

٢١- التفكك الأسري وانحراف الأحداث الباحث / مبارك آل شافي رسالة ماجستير بجامعة نايف للعلوم الأمنية – كلية الدراسات العليا – قسم العلوم الاجتماعية –

الرياض ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
٢٢- تنظيم الإسلام للمجتمع للشيخ / محمد أبو زهرة. دار الفكر العربى ـ د. ت.
٢٣- جامع البيان في تأويل القرآن، الإمام الطبري، ط. مؤسسة الرسالة، ط. أولى ١٤٢٠هـ.
٢٤- الجامع لأحكام القرآن - الإمام القرطبي ط. دار الشعب بالقاهرة. بدون تاريخ.
٢٥- الجنوح والترويح في الأوقات الحرة لدى الشباب في المملكة العربية السعودية، الباحث/ شرف الدين الملك ط.مركز أبحاث مكافحة الجريمة - وزارة الداخلية - مطابع العبيكان الرياض ١٤٠٥ه.
٢٦- حقائق الإسلام وأباطيل خصومه - أ عباس محمد العقاد ط/ دار الهلال سنة ١٩٦٩م.
٢٧- الزواج العرفي، سعيد عبد العظيم، ط مكتبة دار الإيمان بالإسكندرية ٢٠٠٢م.
٢٨- سنن ابن ماجه بتعليق الألباني، الإمام ابن ماجه، ط. دار الفكر بيروت بدون تاريخ.
٢٩- سنن البيهقي الكبرى، الإمام البيهقي، ط. مجلس دائرة المعارف النظامية بالهند، الطبعة: الأولى ـ ١٣٤٤ه
٣٠- سنن الترمذي، الإمام الترمذي، ط. دار إحياء التراث العربي بيروت بدون تاريخ.
٣١- سنن الدارقطني، الإمام الدارقطني، ط.دار المعرفة - بيروت، ١٣٨٦ - ١٩٦٦م.
٣٢- سيكولوجية البغاء دراسة نظرية وميدانية د/ نجية اسحاق عبد الله ط/ مكتبة الخانجي بالقاهرة. د.ت.
٣٣- صحيح البخاري، الإمام البخاري ط. دار ابن كثير، اليمامة بيروت الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٣٤- صحيح مسلم - الإمام مسلم، ط.بيت الأفكار الدولية ١٤١٩ه.
٣٥- في ظلال القرآن، أ/ سيد قطب ط.دار الشروق بالقاهرة ـ الطبعة السابعة والعشرون سنة ١٩٩٧م.
٣٦- قاموس علم الاجتماع د/ محمد عاطف غيث، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩م.
٣٧- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ط: دار صادر - بيروت ط أولى بدون تاريخ.
٣٨- المشاكل الاجتماعية والسلوك الانحرافي، د/ محمد عاطف غيث، ط دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية ١٩٨٢م.
٣٩- المشكلات الأسرية بعض الأسباب والمعالجة، الباحثة /أميرة أحمد عبيد باهميم، بدون المطبعة ولا تاريخ الطبع.
٤٠- معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، د/ أحمد زكي بدوي، ط مكتبة لبنان - بيروت ١٩٨٢م.
٤١- منهج التربية الإسلامية. أ / محمد قطب ط/ دار الشروق طبعة ثانية ١٩٨١م.
٤٢- موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام. الشيخ / عطية صقر ط/ الدار المصرية للكتاب ط/ثانية سنة ١٩٩٠م.

ثالثاً: المجلات والصحف:

١- جريدة الصباح العراقية -٢١-٦-٢٠٠٦م.
٢- صحيفة اليوم السابع بتاريخ ٢٠١٢/٣/٨م.
٣- صحيفة الأهرام اليومي بتاريخ ٢٠١٢/١١/١٨م.
٤- مجلة البيان العدد /١٤٣، تصدر عن المنتدى الإسلامي.
٥- مجلة الحوار المتمدن العدد / ١٦٧٥ بتاريخ ٢٠٠٦/٩/١٦م.

فهرس البحث

❊ ❊ ❊